جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
الدراسات العليا



د / عمر بن عبد العزيز قريشي

رقم الإيداع ٢٠٠٠/٧٨٥٠

حنون للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

صدق الله العظيم

آل عمران : ١٩

وقال تعالى :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾

" صدق الله العظيم "

آل عمران : ٨٥

المقدمة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمـــا بعـــد :

فلما كان موضوع معرفـــة الديـــن ونشـــأته، والتفرقـــة بيـــن حقـــه وباطله من الأهمية بمكـــان، وكـــانت الكتـــب التـــى تنـــاولت هـــذا الموضوع قد تناولته بصعوبـــة بالغـــة، أو فلســـفة معقـــدة، أو كـــان ذلك نقلاً عن كتابات المستشرقين، ومن نحـــا نحوهـــم.

فإنى استعنت بالله تعالى فـــى أن أكتـــب كتابـــاً ميســـراً فـــى هـــذا الموضوع، ليكون زاداً لطـــالب العلـــم، يتبلـــغ بـــه مقصـــوده ـــــ ويرجع إليه فى بيان ما غمض عليه فـــى غـــيره.

سيما وأنى قـــررت كتـــاب ((الديـــن)) للدكتـــور محمـــد عبداللـــه دراز، فى مادة تاريخ الأديان، على طلبة الدراســـات العليـــا، ومـــع ذلك فإنهم قد شكوا من صعوبـــة الكتـــاب وتعمـــق أســـلوبه، وأنهـــم يصعب عليهم فهم مادة الكتاب، أو جـــل مادتـــه علـــى الرغـــم مـــن أنه من المفروض أن يكـــون طـــالب الدراســـات العليـــا قـــد قطـــع شوطاً فى العلم يجعله يذلل الصعب ويـــدرك المـــأرب، ولكـــن !!

ولذلك فتيسيرا على هـــؤلاء الطـــلاب، وعلـــى غـــيرهم مـــن بـــاب أولى، كانت هذه المحاولـــة المتواضعـــة. وعلـــى عجالـــة ـــــ فـــى وضع أو تأليف ذلك الكتاب، والذى هـــو بعنـــوان ((نشـــأة الديـــن)) وقد تناولت فى التمهيد أهميـــة دراســـة الأديـــان. وعـــرض ســـريع لتاريخ علم الأديان، وفـــى :

الفصل الأول : الدين ومرادفاته حيث معنى الدين لغة واصطلاحاً، وعناصر الدين، ووحدة الدين، والفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي، والفرق بين الملة والنحلة والشريعة والمناهج.

وفي الفصل الثاني : الدين حقائق ومسلمات، حيث بيان : هل هو دين واحد، أم هو أديان متعددة ؟ وموقف الإسلام من الأديان الأخرى، وأهم عوامل الإنحراف عن الدين الصحيح، وما هي ضرورة الدين، وبيان أن الإسلام دين الفطرة والعقل، وهكذا يحدث التاريخ. والحديث عن أقدمية الدين، ومن أول نبي وأول رسول.

وفي الفصل الثالث : وقفة حول نشأة العقيدة الإلهية والرد على من قال بتطور العقيدة.

وفي الفصل الرابع : نبذة تاريخية عن أهم الرسالات السماوية كاليهودية والمسيحية

وفي الفصل الخامس : نظرة إجمالية لبعض الأديان الوضعية مثل الديانة المصرية القديمة وأديان الهند والصين واليابان واليونان والرومان

والفرس والبابليين والأشـــوريين، كــل ذلــك في تلخيص وإيجاز، أرجــو ألا يكــون مخــلاً بالمقصود.

والله من وراء القصد

عمر بن عبدالعزيز

تمهيد :

أهمية دراسة الأديان :

تأتى أهمية دراسة الأديان كمنهج إسلامى فـــى الدعـــوة إلـــى الله تعالى، إذ يرتكز هذا المنهج فـــى دعـــوة غـــير المســـلمين إلـــى الإسلام على الجدال بالتى هـــى أحســـن كمـــا قـــال تعـــالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هـــى أحســـن ﴾ (١)

ولا يستطيع الداعية الناجح أن يدعو غـــير المســـلمين بـــالتى هى أحسن إلا إذا درس مـــا عندهـــم مـــن ديانـــات، ووقـــف علـــى الملل والنحل التى يدين بها غـــير المســـلمين حتـــى يعـــرف الحـــق من الباطل والهدى من الضلال، فاذا علـــم ذلـــك اســـتطاع أن يدفـــع الباطل ويرده عن دعوتـــه، وأن ينـــاصر الحـــق والصـــواب علـــى المنهج القويم الذى رسمه اللـــــه تعـــالى للدعـــاة إليـــه، فـــى قولـــه سبحانه وتعال : ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلـــى اللـــه علـــى بصـــيرة وأنا من إتبعنـــــى.....﴾ (٢)

وتأتى أيضاً أهمية هذه الدراسة علـــى أنهـــا واجـــب علمـــى تقتضيه الضرورة الملقاه على عـــاتق الدعـــاة إلـــى اللـــه، إذ بهـــذه الدراسة يستطيع الداعية أن يزيـــح الســـتار عـــن الرســـالات التـــى تنزلت من قِبَل الحق تبارك وتعـــالى خاصـــة التـــى أســـدل عليهـــا

(١) سورة العنكبوت : ٤٦

(٢) سورة يوسف : ١٠٨

الباطل ستاره حتى ذهـــب بهـــا، وجـــاء النـــاس لأنفســـهم بعقـــائد وتشريعات جديدة تبتعد كل البعد عن دين اللـــه وشـــرعه.

لذا فيجب على طالب العلـــم أن يكـــون علـــى علـــم بتـــاريخ الأديان والمذاهب المنتشرة حوله حتـــى يســـتطيع أن يقـــارع غـــيره – ممن يخالفونه في الدين الحجة بالحق، والبينـــة بالبينـــة، والدليـــل بالدليل، ويستطيع أن يؤمن الأجيال الحاضرة والمقبلـــة مـــن خطـــر المبشرين وأن يـــأمن علـــى دينـــه ممـــا يحيـــط بـــه مـــن أخطـــار وأهوال...

عرض سريع لتاريخ علم الأديان :

كلمة " تاريخ الأديان " كلمة معربة عن لغـــة الفرنجـــة.

والتسمية بهذا الاسم مســـتحدثة لـــم تعرفهـــا أوربـــا إلا عنـــد فجر القرن التاسع عشـــر.

على أن الحديث عن العقائد البشرية هو فـــي جوهـــره شـــأن قديم، ومعاصر لاختلاف الناس في مللهـــم ونحلهـــم، تتســـع مادتـــه حيناً وتضيق حينـــاً بمقـــدار تعـــارف أهـــل الأديـــان فيمـــا بينهـــم، ووقوف بعضهـــم علـــى مذاهـــب بعـــض، كمـــا يختلـــف طـــابعهم ووجهتهم، مسايرة لتشعب نزعات البـــاحثين وأهدافهـــم.

ولو أننا تتبعنا سلســـلة الحديـــث عـــن الأديـــان مـــن عهـــد الفراعنـــة، اليونـــان، الرومـــان، المســـيحية، الإســـلام، فالنهضـــة

الحديثة، لاستطعنا أن نتبين اختـــلاف صـــوره فيمـــا بيـــن العصـــر والعصر، بل ربما بين الفترة والفـــترة.

فمثلاً (العصر الفرعونى) : لم يصـــل إلـــى أيدينـــا ســـجل جامع دون فيه قدماء المصريين ديانـــاتهم وأديـــان غـــيرهم، ولكـــن البحوث الأخيرة أثبتت إثباتاً لا يخالطـــه وهـــم أن المصرييـــن منـــذ ألوف السنين قبل ميـــلاد المســـيح عليـــه الســـلام بـــدأوا يســـجلون عقائدهم، وعوائدهم، ووقائعهم، وألـــوان حيـــاتهم، أقـــوالاً متفرقـــة، مسطورة فى قراطيس البردى، أو منقوشـــة علـــى جـــدران المقـــابر والمعابد، إنهم تركوا إلى جـــانب ذلـــك مجموعـــات عظيمـــة مـــن التمـــاثيل المنحوتـــة، والأجســـاد المحنطـــة لملوكهـــم ورؤســـائهم ومقدساتهم مـــن الطـــير والحيـــوان والأناســـى وغيرهـــا.. وكـــذا صنعوا فى شأن الأقاليم التـــى فتحوهـــا " كبـــلاد النوبـــة، ســـوريا، العراق، وغيرهـــا.. ".

وعلى قـــدر ســـعة فتوحهـــم اتســـعت صدورهـــم لمختلـــف العقائد، فتركوا لكل إقليم حريته فى تقديس مـــا يشـــاء، واتخـــاذ مـــا يشاء من الرموز الموضعيـــة.

" **العصر الإغريقى** " : لم يبـــق الآن مجـــال للشـــك فـــى أن القدامى من علمـــاء اليونـــان وفلاســـفتهم تخرجـــوا فـــى مدرســـة الحضارات الشرقية والحضارة المصريـــة بوجـــه أخـــص، وليـــس معنى هذا أن الإغريق كانوا بمثابة أوعيـــة مصمتـــه نقلـــت علـــوم

الشرق ومعارفه نقلاً حرفياً، فذلك ما لا يستسيغه عقل، ولم يقم عليه دليل من صحيح النقل، ولكن المعنى أنهم لم ينشئوا هذه العلوم انشاء على غير مثال سابق كما ظنه بعضهم، بل وجدوا مادتها فى الشرق فاقتبسوا منها وأفادوا كثيراً.

وإن قدماء اليونان أنفسهم يذهبون إلى الاعتراف بهذه التلمذة إلى القول بأن عظماءهم أمثال فيثاغورث وأفلاطون مدينون بأرقى نظرياتهم إلى المدرسة المصرية، والناقدون المحدثون وإن استبعدوا حصول نقل حرفى لهذه النظريات لم يسعهم إلا التسليم بتبعية هؤلاء الفلاسفة، فى الدين والأخلاق، للنظريات المصرية.

وفى حديثهم عن آثارهم ومعاركهم وأخبارهم كانوا يتحدثون عن أسماء آلهتهم وآلهة خصومهم، ووصف القربات والضحايا والتوسلات التى يتوجه بها كل مظلوم أو مكروب إلى إلهه، وذكر ما يجرى فى زعمهم بين آلهة السماء حيث تتشاور فيما بينها، وحين تتنازع وتتقسم آراؤها فى الانتصار لهذا الفريق أو ذاك.. إلى غير ذلك.

ثم تطورت هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى أكثر حيوية فى تسجيل المعالم الدينية ولكنها كانت تتسم رواياتها بالطابع الأسطورى والتمثيلى الذى يستمده الكاتب من خياله وأسلوب تفكيره فى تعليل الحوادث والنوازل، ثم يلى هذا دور الرحلات

للمؤرخين الوصافين، وهذا الدور وإن كان كسابقه لـــم يفــرد فيهـــا للأديان تأليف مستقل حيث كان الحديث عنهـــا يمـــزج بالأوصـــاف الإقليمية وغيرها، إلا أن الاعتماد فيـــه كـــان علـــى المشـــاهدات لا على التخيلات، كما أن نطاق البحث فيـــه كـــان أوســـع فقـــد شـــمل ديانات آسيا الصغـــرى ومصـــر وبـــابل وفـــارس ومـــا يتاخمهـــا، وامتاز أيضاً بطابع المقارنة بيـــن معبـــودات الإغريـــق ومعبـــودات غيرهم مقارنة تميل إلى تفضيل وجهـــة نظـــر المصرييـــن، وإلـــى نقد الأخطاء التى كان يقع فيها عـــامتهم بســـبب الاشـــتراك اللفظـــى حين يكون الاسم الواحد علماً على إلـــه أزلـــى، وعلـــى بطـــل مـــن أبطال الشر.

ولقد كانت فتوح الاســـكندر المقدونـــى ســـبباً فـــى انفســـاح مجال المعرفة لأديان أخرى حيث وصلت جيـــوش الاســـكندر إلـــى الهند، وإلى جـــانب هـــذه الدراســـات الوصفيـــة لمختلـــف الأديـــان المعروفـــة، إذ ذاك قـــامت دراســـات نقديـــة فلســـفية تهـــدف إلـــى تمحيص حقيقة الدين بوجه عـــام فـــى ثنايـــا البحـــث عـــن حقـــائق الأشياء.

العصر الرومانى :

فى القرن الثـــانى قبـــل الميـــلاد أخضـــع الرومـــان الدولـــة اليونانية سياسياً فأصبحت ولاية تابعة لهم، بعد أن كـــانوا هـــم تبعـــاً لها، والعجب أنه لم يستفد الرومان مـــن الحضـــارة اليونانيـــة شـــيئاً

يذكر فى محيط الأوســـاط العلميــة، والأدبيــة، لكــن كــان الفتــح الرومانى لبلاد الإغريق سبباً فى اجتــلاب بعــض آرائهــم الشــائعة فى العصر. كان هذا الفتح للبلاد الأســيوية والأفريقيــة ســبباً فــى نقل بعض مذاهبهما الدينيــة إلــى رومــا فاشــتهرت فيهــا بعــض أسماء المعبودات " ميترا – بعل – إيزيــس " وغــيرهم...

وكان وصف هذه الديانات الواغلة – مضافــة إلــى الأديــان المحلية – مجالاً لأقلام الكاتبين الرومـــان فــى القــرن الأول قبــل الميلاد، فكتــب " سيســيرون " عــن الآراء الفلســفية فــى طبيعــة الألوهية وكتب " فارون " عــن الشــعائر والعبــادات الرومانيــة، لا بأسلوب النقد والموازنة والترجيح بــل بأســلوب التــأويل والتوفيــق أو التلفيق بين الأراء المختلفة، أسلوب ينــم عــن الــتردد والحــيرة وعدم العناية بالبحث الجدى أكثر مما يعــبر عــن " روح التســامح الدينى " الذى ينسب إلى ذلك العهد، فالتعبير بالتســامح هنــا تعبــير غير محرر، واستنباط غير موفق مــن عــادة اعتادهــا بعضهــم إذ ذاك، وهى أنهــم كــانوا لا يلــتزمون شــعائر ديــن معيــن، بــل يشتركون فى عبادات متنوعة من ديانـــات شــتى، باعتبارهــا كلهــا رموز الحقيقة الواحدة، فهذا المســـلك لا يــدل علــى احــترام كــل متدين لديانة غيره وهو معنى التسامح والإرضـــاء بــل يــدل علــى الانحلال وعدم الركون إلى دين مـــا.

العصر المسيحى :

وفى منتصف القرن الأول بعـــد الميـــلاد : دخلــت الدعــوة المسيحية إلى أوربا فــى صــورة ديــن ســماوى جديــد، يــأبى أن ينتظم فى سلك مع الأديـــان الوثنيـــة الســـابقة، ويحـــاول أن يظهـــر عليها ويحل محلها، وكان ما كان مـــن احتكـــاك وصـــراع وتفـــاعل وامتزاج بينه وبين تلك الديانات المحلية ثـــم بينـــه وبيـــن المذاهـــب المستحدثة فى عهده، مثل الديانة المانوية التى ظهـــرت فـــى القـــرن الثالث بعد الميـــلاد، والفلســـفة الأفلاطونيـــة الحديثـــة فـــى القـــرن الثالث أيضاً.

وكان ما كان مــــن اضطهـــادات ومقاومـــات عنيفـــة شـــنها أباطرة الرومان على دعاتـــه وأتباعـــه حتـــى جـــاء الإمـــبراطور " قسطنطين " (أول القـــرن الرابـــع) فدعـــا فـــى أول الأمـــر إلـــى المهادنة الدينية العامـــة.

ثم أعلن المسيحية ديناً رسمياً للدولة، علـــى الصـــورة التـــى وضعها المجمع المنعقد بأمره فى نيقيـــة ســـنة ٣٢٥ميلاديـــة، وقـــد كان ألمع اسم فى قائمـــة المدافعيـــن عـــن المســـيحية، المعـــارضين للنِحَل الجديدة المنافسة لها، هو اســـم القديـــس " أوغســـطين " وهـــو أسقف كان قد اعتنـــق المانويـــة قبـــل أن يعتنـــق المســـيحية ولـــه مؤلفاته أشهرها كتاب " المدينة الإلهيـــة " وهـــو أهمهـــا، وكتـــاب " الاعترافات " وكتاب " اللطـــف ".

واستمر هذا الطابع الجدلى للعقـــائد هجومـــاً ودفاعـــاً، هدمـــاً وبناءً، لا بيـــن المســـيحية وغيرهـــا فحســـب بـــل بيـــن المذاهـــب المسيحية أنفسها.. فلم يكن هم الكـــاتبين تصويـــر العقـــائد المختلفـــة كما هى، بل كان هدف كل كـــاتب التمـــاس موطـــن مـــن مواطـــن الضعف فى عقيدة خصمه لابطالها، وإبـــراز ناحيـــة مـــن نواحـــى القوة فى عقيدته لنصرها ونشـــرها.

العصر الإسلامى :

ثم ظهر الإسلام فى أوائل القـــرن الســـابع الميـــلادى، ومـــا هو إلا أن تمكنت دعوته فـــى ســـنة ٦٢٢ ميلاديـــة مـــن استنشـــاق نسيم الحرية خارج مكة حتـــى انتشـــرت بســـرعة الـــبرق، شـــمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، ولم يمض قـــرن واحـــد حتـــى ســـرت فـــى أقطار أوربا الغربية " أســـبانيا وإيطاليـــا وفرنســـا " حاملـــة معهـــا علوم الإسلام وآدابـــه وتشـــريعاته، مضافـــة إلـــى علـــوم اليونـــان وفلسفتهم، مضافـــاً إليهـــا مـــا اكتشـــفها العـــرب والمســـلمون فـــى رحلاتهم من علوم الشـــرق وآدابـــه ومـــا أفـــادوهم مـــن تجـــارب جديدة.

ولم يكن بدعاً مـــن الأمـــر أن يكـــون الغـــرب عالـــة علـــى العرب فى علوم الشرق، وإنما البديع والعجـــب العجـــاب أن يكـــون عالة عليهم فى علوم أوربا نفسها، وأن يبقـــى كذلـــك حقبـــة مديـــدة من التاريخ. ولئن كان قد مضى الفتـــح الرومـــانى دون أن يســـتفيد

من الأدب اليونانى، ومضى العصر المسـيحى فـى شـغل بـالجدل الدينى فإنه لم يفتح الغربيون عيونهم على تلـك الكنـوز العقليـة إلا وهى فى أيـدى العـرب والمسـلمين الذيـن جـاءوهم مـن وراء البحار فى أوائل القرن الثامن فاتحين فتـوح علـم وسـلم، وعدالـة وسـماحة " لا فتـوح علـو وعتـو واشـباع للغرائـز الجامحـة واستنزاف للدماء والـثروات ".

هناك هرع الناس إليهـم مـن كـل صـوب ينهلـون مـن معارفهم، وكان اليهود أول النـاس انتفاعـاً بهـذ التلمـذة، فـأخذوا ينقلون هذه العلوم من العربية إلى العبرية، ثم إلـى اللاتينيـة.

إن ما أفاده الغربيـون مـن معـارف العـرب أنفسـهم فـى الأدب والشعر والتشريع، والطب، والفلك والتـاريخ والطبيعـة والكيميـاء والجبر والتقويم والـترقيم، ومختلـف الفنـون والصناعـات فهـو أوسع من أن نلم ببعضه، ولكن الذى يعنينـا هنـا إنمـا هـو أثـر العرب والمسلمين فى علم الأديان الذى نحـن بصـدده.

وإنه لأثر جليل يمتاز بطـابعين جديديـن لـم يسـبق إليهـم أحد فيما نعلم :

أما أحدهما : فهو أن الحديث عن الأديان بعـد أن كـان فـى العصور السابقة إما مغمـوراً فـى لجـة الأحـاديث عـن شـئون الحياة، وإما مدفوعاً فـى تيـار البحـوث النفسـية أو الفلسـفية أو الجدلية، أو على الأقل محدوداً بحـدود العقـائد الموضوعيـة ومـا

يشارفها، أصبـــح فـــى كتـــب العـــرب دراســـة وصفيـــة واقعيـــة، ومنعزلة عـــن ســـائر العلـــوم والفنـــون، شـــاملة لكافـــة الأديـــان المعروفة فى عهدهم، فكان لهم بذلـــك فضـــل الســـبق فـــى تدوينـــه علما مستقلا، قبل أن تعرفه أوروبا الحديثة بعشـــرة قـــرون.

وأما الآخر - فهو ليس أقل نفاسة من ســـابقه - فهـــو أنهـــم فى وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمـــدوا علـــى الأخيلـــة والظنـــون، ولا على الأخبار المحتملـــة للصـــدق والكـــذب، ولا علـــى العوائـــد والخزعبلات الشائعة فى الطبقـــات الجاهلـــة والتـــى قـــد تنحـــرف قليلا أو كثـــيرا عـــن حقيقـــة أديانهـــا، ولكنهـــم كـــانوا يســـتمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثـــوق بهـــا، ويســـتقونها مـــن منابعها الأولى، وهكذا بعد أن اختطوه علمـــا مســـتقلا، اتخـــذوا لـــه منهجا علميا ســـليما.

ونحـــن ذاكـــرون هنـــا بعـــض أســـماء المؤلفـــات العربيـــة المشهورة فى هذه المادة على ترتيبهـــا التـــاريخى :

١- كتاب " جمل المقـــالات " لأبـــى الحســـن الأشـــعرى، المتوفـــى سنة ٣٣٠هـ (القرن العاشـــر الميـــلادى).

٢- كتاب " المقالات فى أصول الديانـــــات " للمســـعودى، المتوفـــى سنة ٣٤٦هـ (القرن العاشر أيضـــا).

٣- كتاب " الفصل فـــى الملـــل والأهـــواء والنحـــل " لابـــن حـــزم الظاهرى، المتوفى سنة ٤٥٦هـ (القرن الحـــادى عشـــر).

٤- كتاب " الملل والنحل " للشهرستانى، المتوفى سنة ٥٤٨هـ (القرن الحادى عشر)

٥- كتاب " اعتقادات المسلمين والمشركين " للفخر الرازى، المتوفى سنة ٦٠٦هـ (القرن الثانى عشر).

٦- كتاب " تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة فى العقل أو مرذولة " للبيرونى.

وهذا بخلاف الكتب الكثيرة التى وضعت فى الرد على النصارى واليهود، مثالها ما كتبه القرطبى " الإعلام بما فى دين النصارى من أوهام " وابن تيمية "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " وابن القيم " هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، ورحمت الله الهندى " إظهار الحق "، " ورسالة من أبى عبيد الخزرجى إلى القس حنا مقار العيسوى)) وهكذا، ثم توالت الكتب تترى حتى هذا العصر الحديث، فى كتب فاقت الحصر والعد، مع رسائل علمية متخصصة تناولت دقائق هذا العلم وجوانبه.

أفترى من الأنصاف بعد هذا أن يقال عن الإسلام، إنه لم يصنع شيئا فى تاريخ الأديان المقارن ؟ !!

نهضة أوروبا الحديثة :

بدات أوروبا الغربية فـــى القرنيـــن الثـــالث عشـــر والرابـــع عشر تستيقظ رويداً رويداً، وتتلفت بأنظارهـــا إلـــى الشـــرق الـــذى كان مبعث نورها، فجعلت تبعث إليه البعـــوث مـــن رجـــال الديـــن، الفرنسيسكان والدومينيكان، حتى بلغوا فـــى رحلاتهـــم بـــلاد الهنـــد والصين واطلعوا على دياناتهـــا.

وفى القرنين الخـــامس عشـــر والســـادس عشـــر وهمـــا أول العصر المســـمى بعصـــر ((البعـــث)) أو ((النهضـــة)) انبعثـــت همتها للاطلاع بنفســـها علـــى علـــوم اليونـــان وآدابهـــم وفنونهـــم القديمة باللغة اليونانية، وكانت بـــاكورة نشـــاطها فـــى هـــذا الشـــأن تنقيبها عن الآثار الأسطورية وتفسير ما ترمز إليـــه مـــن عقـــائد أو حوادث تاريخية.

ولـــم تلبـــث أن ظهـــرت حركـــة الإصـــــلاح المســـــيحى ((البروتستانتية)) فى منتصـــف القـــرن الســـادس عشـــر، فكـــانت مكملة لجانب من هذه النهضة العلمية فى أوروبـــا بمـــا مهـــدت لـــه من دراسات فى اللغة العبرية واللغـــــات الســـامية الأخـــرى، بغيـــة التفهم لنصوص التوراه والإنجيـــل، التـــى كـــان رجـــال الإصـــلاح يتمسكون بحرفيتهـــا.

ولكنهـــا مـــن جـــانب آخـــر أغرقـــت أوروبـــا فـــى حمـــأة المنازعات والحـــروب الدينيـــة، التـــى عوقـــت حركـــة إكتشـــاف

الأقاليم ونشر المسيحية فيها، ولذلك بقى البروتستانت قرنين من الزمان لا يساهمون فى هذه البعوث، وكان الكاثوليك (من أسبان وبرتغال وفرنسيين) هم القائمين إذ ذاك وحدهم بأعبائها.

ثم تتابع الرحالون من الفريقين، وازدادات عنايتهم بالأقطار الجديدة فى آسيا، والأفيانوسية، وأمريكا، ومجاهل أفريقيا.. حتى كان آخر القرن الثامن عشر وهو الوقت الذى نشطت فيه حركة التأليف فى وصف عقائد هؤلاء الأقوام وعوائدهم، فهناك اشرأبت العقول إلى السؤال عما كانت عليه ديانة الإنسان الأول، وبذلت محاولات لتحديدها فى ضوء المقايسة على ديانات هؤلاء " البدائيين " كما بذلت محاولات لاستنباط الطريق الذى سارت فيه الديانات منذ نشأة الإنسان إلى اليوم ومعرفة أسلوب تطورها، أو تولد بعضها عن البعض.

ومنذ ذلك اليوم أصبح علم الأديان ذا شعبتين اثنتين : شعبة جديدة مبتكرة، وشعبة قديمة نالها شيء من التجديد.

أما الشعبة القديمة المجددة : فهى تلك الدراسات الوصفية، التحليلية، الخاصة بملة ملة، وهى التى يمكن أن تعرفنا نشأة ديانة ما، وحياة مؤسسها، ومقومات عقائدها وعباداتها، وأسباب انتشارها، وألوان تطورها، إلى غير ذلك

من المعانى التى ما فتئـــت مجـــالاً لحديـــث النـــاس منـــذ اختلفـــت مذاهبهم، وهذه الشعبة هى المشـــهورة باســـم ((تـــاريخ الأديـــان)) ولو أنصفت التسمية لكانت ((تواريـــخ الأديـــان)).

والتجديد الذى لحقها فى العصور الحديثـــة يمكـــن تلخيصـــه: أنها توسعت فى مادتهـــا ووســـائلها جميعـــاً، فهـــى بعـــد أن كـــانت منحصرة فى ما بين البحريـــن الأبيـــض والأحمـــر، أعنـــى ملتقـــى القارات الثلاث، اتســـعت الآن رقعتهـــا حتـــى انتظمـــت القـــارات الخمس، وهى كذلك بعد أن كانت محصـــورة أو تكـــاد فـــى نطـــاق الأمم المتمدنة، تناولت الشـــعوب الهمجيـــة، والأمـــم البـــائدة، بـــل تطاولت إلى التنقيب عما وراء التـــاريخ المعـــروف.

وأما الشعبة الجديدة المبتكرة، فهى ضـــرب مـــن الدراســـات النظرية والاستنباطات الكلية، التى تهدف إلى اشـــباع نهمـــة العقـــل فى التطلع إلى أصول الأشـــياء ومبادئهـــا العامـــة، حيـــن تتشـــعب عليه جزئياتها وتفصيلاتهـــا (١)

---

(١) الدين ــ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ــ للدكتور محمد عبـــدالله دراز ص ١ ــــ ١٩ بتصرف ط مطبعة السعادة ١٣٨٩هــ ١٩٦٩م

الفصل الأول : الدين ومرادفاته

المبحث الأول

معنى الدين لغة وشرعاً

كلمة ((الدين)) فى اللغة لها معـــان كثـــيرة، توهـــم النـــاظر إليها ــ لأول مرة ــ أنها متناقضة، وليس الأمـــر كذلـــك، بـــل ــــ عند التحقيق ــ تجدها فى غاية الانسجام فيمـــا بينهـــا.

فقد وردت الكلمة بمعنـــى المُلـــك وهـــو الخدمـــة، وبمعنـــى الذل أى القهر والسلطان، أو التذلل والخضـــوع، وبمعنـــى الطاعـــة والاستسلام، والاعتقـــاد والتعبـــد، والمحاســـبة والجـــزاء، والحكـــم والقضاء، والقهر والتدبير، والحســـاب والجـــزاء والمكافـــأة، وكـــذا اسم لكل ما نعتقده، أو لكل ما يتعبد الله بـــه... الـــخ

والواقع أننا إذا نظرنا فـــى اشـــتقاق هـــذه الكلمـــة ووجـــوه تصريفها نرى من وراء هذا الإختلاف الظاهرتقاربـــاً شـــديداً، بـــل صلة تامة فى جوهر المعنـــى، إذ نجـــد أن هـــذه المعـــانى الكثـــيرة تعود فى نهاية الأمر إلى ثلاثة معان ، تكاد تكـــون متلازمـــة.

وبيانه أن كلمة ((الديـــن)) تؤخـــذ تـــارة مـــن فعـــل متعـــد بنفسه ((دانه يدينه)) فتكون بمعنى ملكه وحكمـــه وساســـه، ودبـــره وقهره وحاسبه، وقضى فى شأنه، وجـــازاه وكافـــأه. فيـــدور معنـــى الدين هنا على معنى الملك والتصرف، والذى منـــه الآيـــة ﴿ مـــالك

يــوم الديــن (٤)﴾ وكــذا اســم ((الديــان)) الحكــم والقـــاضى، والحديث ((الكيس من دان نفسه (٩))) أى حكمهـــا وضبطهـــا.

* وتكون تارة من فعل متعــد بــاللام ((دان لـــه)) فتكــون بمعنى أطاعه وخضع له، فـــالدين هنـــا هـــو الخضـــوع والطاعـــة وكذا العبادة والورع، وكلمة ((الدين لله)) يصـــح أن يفهـــم منهـــا كلا المعنيين : الحكم لله، أو الخضـــوع للــه.

وواضح أن هذا المعنى الثانى ملازم لـــلأول ومطـــاوع لــه، ((دانه فدان له)) أى قهره على الطاعة فخضـــع وأطـــاع.

* وتارة تأتي من فعـــل متعــد بالبــاء ((دان بــه)) فيكــون معناه أنه اتخذه دينا ومذهبــا، أى اعتقــده اواعتــاده أو تخلــق بــه، فالدين على هذا المعنى هو المذهب والطريقـــة التـــى يســير عليهـــا المرء نظرياً أو عمليا، فالمذهب العملى لكـــل امـــرىء هـــو عادتـــه وسيرته، كما يقال : ((هذا دينـــى وديدنـــى)) والمذهـــب النظـــرى عنده هو عقيدته ورأيه الذى يعتنقه، ومـــن ذلـــك قولهـــم ((دينـــت الرجل)) أى وكلته إلى دينه ولم أعترض عليه فيمـــا يـــراه ســـائغاً فى اعتقاده.

---

(١) سورة الفاتحة : ٤

(٢) رواه الترمذى برقم ٢٤٦١، وابن ماجة برقم ٢٤٦٠ وهو حديث ضعيف، فيه أبو بكر بن عن عبدالله بن مريم، سبب ضعفه

ولا يخفـــى أن هـــذا الاســـتعمال الثـــالث تـــــابع أيضـــــاً للاستعمالين قبله، لأن العادة أو العقيدة التـــــى يـــدان بهـــا لهـــا مـــن السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها، ويلـــــتزم اتباعهـــا.

وجملة القول فى هذه المعانى اللغوية أن كلمـــــة الديـــن عنـــد العرب تشير إلـــــى علاقـــة بيـــن طرفيـــن يعظـــم أحدهمـــا الآخـــر ويخضع له، فـــاذا وصـــف بهـــا الطـــرف الأول كـــانت خضوعـــاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطـــــرف الثـــانى كـــانت أمـــراً وســـلطانا وحكماً وإلزاماً، وإذا نظرنا بها إلى الرباط الجـــــامع بيـــن الطرفيـــن كانت هى الدستور المنظم، والحكم الـــذى يرســـم تلـــك العلاقـــة. أو المظهر المعبر عنها. فالكلمة تـــدور علـــى معنـــى لـــزوم الانقيـــاد، فالأول ملزم بالانقياد، والثـــانى، ملـــتزم بالانقيـــاد، والثـــالث المبـــدأ يلتزم بالإنقياد له.

وكذا ينبغى التفرقة بيـــن ((الدَيـــن)) بـــالفتح و((الدِيـــن)) بالكسر، فالأول يتضمن فى الأصل إلزاما ماليـــاً، والآخـــر يقتضـــى إلزاماً أدبياً، وهكذا يظهر لنا جليـــاً أن هـــذه المـــادة بكـــل معانيهـــا أصيلة فى اللغة العربية، وما ظنـــه البعـــض مـــن تناقضهـــا أو مـــا ظنه بعض المستشرفين من أنهـــا دخيلـــة علـــى اللغـــة العربيـــة أو معربة عن العبرية أو الفارسية فهو بعيد كل البعـــد، ولعلهـــا نزعـــة شعوبية أريد بها تجريد العـــرب مـــن كـــل فضيلـــة حتـــى فضيلـــة

البيان التى هى أعـــز مفـــاخرهم، وبـــذا اتضـــح المقصـــود حـــول الكلمة لغوياً. (1)

معنى الدين شرعاً :

بعد بيان المعنى اللغوى لكلمـــــة الديـــن، نشـــر ع فـــى بيـــان معنى الدين من ناحية الإصطـــــلاح أو المعنـــى الشـــرعى، ولاشـــك أنه سيختلف معنى الديـــن فـــى معنـــاه الاصطلاحـــى عنـــد الذيـــن يريدون وضع تعريف له، وذلـــك لأنـــه ـــــ بـــادىء ذى بـــدء ـــــ ستختلف وجهاتهم من حيث النظرة إلى الديـــن وقـــد تبـــاين النـــاس فيه، ما بين محق ومبطـــل، أو متبـــع لديـــن حـــق، وآخـــر بـــاطل، ودين سماوى وآخر أرضى.. إلـــخ

ولذلك جاءت تعريفات الدين متباينة، ســـيما بيـــن المســـلمين والغربيين.

فالمسلمون يعرفون الديـــن بأنـــه : ((وضـــع إلهـــى ســـائق لذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فـــى الحـــال، والفـــلاح فى المآل)).

ولخصه بعضهم بقوله ((الديـــن وضـــع الهـــى يرشـــد إلـــى الحق فى الاعتقادات، وإلـــى الخـــير فـــى الســـلوك والمعـــاملات))

---

(١) الدين ـــ د/ دراز ص ٢٣ـــ٢٨ بتصرف، دراسات فى الأديان القديمـــة د/ حســـن حســـين الهوارى صـــ٥-٦ بتصرف ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٣ م.

وهذا التعريف لا شك أنه ينطبـــق علـــى الديـــن الحـــق، ولا يمكن تعديه إلى جنس الدين، وقد علم أن منـــه ـــ حســـب الواقـــع والاستقراء ـــ الحق والباطل، وما انتشر مـــن باطلـــه أكـــثر بكثـــير مما عليه أهل الحق منه، قال تعالى : ﴿ لكم دينكـــم ولـــى ديـــن[١]﴾ كما قال تعالى ﴿ وإن تطع أكثر مـــن فـــى الأرض يضلـــوك عـــن سبيل الله إن يتبعون إلا الظـــن وإن هـــم إلا يخرصـــون[٢]﴾ وكـــذا ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشـــركون [٣]﴾ وكذلـــك ﴿ ومـــا أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين [٤]﴾ إلـــى آخـــر الآيـــات التـــى فى هذا المعنى.

وأما الغربيون فلهم فـــى تعريـــف الديـــن تعبـــيرات شـــتى، نذكر نماذج منها :

يقـــول سيســـرون [٥]: الديـــن هـــو الربـــاط الـــذى يصـــل الانسان بالله.

ويقول كانت [٦]: الدين هو الشـــعور بواجباتنـــا مـــن حيـــث كونها قائمة على أوامر إلهيـــة

(١) سورة الكافرون : ٦
(٢) سورة الأنعام : ١١٦
(٣) سورة يوسف ١٠٦
(٤) سورة يوسف : ١٠٣
(٥) فى كتابه عن القوانين
(٦) الدين فى حدود العقل

ويقول شلاير مـــاخر [١] : قـــوام حقيقـــة الديـــن شـــعورنا بالحاجة والتبعية المطلقـــة.

ويقـــوم الأب شـــاتل [١]: الديـــن هـــو مجموعـــة واجبـــات المخلوق نحـــو الخـــالق، وواجبـــات الإنســـان نحـــو اللـــه، ونحـــو الجماعة، ونحو نفســـه.

ويقـــول روبـــرت سبنســـر [٢] : الإيمـــان بقـــوة لا يمكـــن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية، هـــو العنصـــر الرئيســـى فـــى الدين

ويقول تايلور [٣]: الدين هو الإيمـــان بكائنـــات روحيـــة

ويقول ماكس ميلر [٤]: الدين هـــو محاولـــة تصـــور مـــا لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبـــير عنـــه، وهـــو التطلـــع إلى اللانهائى، هو حب اللـــه.

ويقول إميل برنوف [٥]: الدين هو العبـــادة، والعبـــادة هـــى عمل مزدوج، فهى عمل عقلى به يعـــترف الإنســـان بقـــوة ســـامية، وعمل قلبى أو انعطاف محبة، يتوجه به إلى رحمـــة تلـــك القـــوة.

---

(١) مقالات عن الديانة

(٢) قانون الإنسانية

(٣) المبادىء الأولية

(٤) المدنيات البدائية

(٥) نشأة الدين ونموه

ويقول ريفيل [١]: الدين هو توجيه الإنسان سلوكه وفقاً لشعوره بصلة بين روحه وروح خفية، يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها.

ويقول جويوه [٢]: الديانة هى تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الدينى هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائى فى الكون.

ويقول ميشيل مايير [٣]: الدين هو جملة العقائد والوصايا التى يجب أن توجهنا فى سلوكنا مع الله، ومع الناس، وفى حق أنفسنا.

ويقول سلفان بيريسيه [٤]: الدين هو الجانب المثالى فى الحياة الإنسانية

ويقول سالومون ريناك [٥]: الدين هو مجموعة التورعات التى تقف حاجزاً أمام الحرية المطلقة لتصرفتنا

---

(١) علم الديانات
(٢) مقدمة تاريخ الأديان
(٣) لا دينية المستقبل
(٤) تعاليم خلقية ودينية
(٥) العلم والديانات

ويقول ايميل دوركايم [1]: " الدين مجموعـــة متســـاندة مـــن الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشــياء المقدســة، (أى المعزولــة المحرمة) اعتقادات وأعمال تضــم أتباعهــا فــى وحــدة معنويــة تسمة الملة "

وبعد.. فمن هــذا العــرض لتعريــف الديــن عنــد العلمــاء الغربيين يتبين أنهم ما أرادوا حقيقة الدين، ولكـــن فكــرة الديـــن أو الاعتقاد بإطلاق أو فكــرة الخضــوع والاتبــاع مــن حيــث هــى، بغض النظر عن مصدرها، ومنهجهــا، ومــدى صحتهــا، وممــا لا شك فيه أن كثيراً من الديانات الخرافية التى هـــى وليــدة الخيــالات والأوهام كانت تنطبــق عليهــا هــذه التعــاريف ولا تخــرج عــن مقتضاها، فكل ديانة تقوم على عبادة التمـــاثيل أو عبــادة الحيــوان، أو النبــات، أو الكواكــب، أو الجــن، أو الملائكــة، أو الأنبيــاء... إلخ، فإنها تكون ديناً بمعنـــاه اللغــوى، وإن لــم يمــت إلــى الديــن الحق بصلة، ولم لا ؟ والقرآن قد ســماها كذلــك حيــث يقــول :
﴿ ومن يبتغ غير الإســـلام دينــاً فلــن يقبــل منـــه.. ﴾[2]، ويقول :﴿ لكم دينكم ولى ديـــن﴾[3].

---

[1] الصور الأولية للحياة الدينية
[2] سورة آل عمران : ٨٥
[3] سورة الكافرون : ٦

والشيءالذى لا شك فيه أن هـــذه التعريفـــات عنـــد الغربييـــن متباينة، كما أنها ليست جامعة مانعـــة، ذلـــك أن منهـــم مـــن جعـــل الدين فكرة فلسفية فى أرقى صورها، مخالفـــاً بذلـــك بقيـــة صـــوره التى عرفها عوام المتدينيـــن، كمـــا أنهـــا لا تنطبـــق علـــى عقيـــدة المشبهين ولا المجسمين، كما لم تخلُ من طرفى النقيـــض مـــا بيـــن مضيق وموسع، ومن نظـــر إلـــى الروحانيـــة فقـــط دون الماديـــة، ومن عكس لنا القضية، ومن ذهب إلى النظريـــة الاعتقاديـــة، وقـــد أغفل الواقع، ومن عاش فى الواقـــع وتمـــرغ فـــى أوحالـــه دون أن يرتقى إلى النظرية أو المثالية فـــى شـــىء.

كما أنه لا يجوز لبعض هـــذه التعريفـــات أن تحـــذف مبـــدأ الألوهية من تعريف الدين، ذلـــك لأن قضيـــة الألوهيـــة هـــى قـــوام حقيقة الدين، ولا يكون الانسان متدينـــاً إلا مـــع شـــعوره بالحاجـــة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة، أياً كانت، وأيـــا كـــان لـــون الخضـــوع لها، فهذا يسمى ديناً، بغض النظر عن حقيقتـــه وبطلانـــه.

ولذلك كان يجب علـــى مـــن يتعـــرض لتعريـــف الديـــن أن ينظر إلى العناصر الرئيسية فى العقيـــدة الدينيـــة، والتـــى ملخصهـــا فى هذا التعريـــف الجـــامع لمعنـــى الديـــن بـــإطلاق " الديـــن هـــو الاعتقاد بوجـــود ذات – أو ذوات – غيبيـــة، علويـــة، لهـــا شـــعور واختيار، ولها تصـــرف وتدبـــير للشـــئون التـــى تعنـــى الإنســـان،

اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجـــاة تلـــك الـــذات الســـامية فـــى رغبة ورهبة، وفى خضوع وتمجيـــــد ".

وبعبـــارة موجـــزة هـــو " الإيمـــان بـــذات إلهيـــة، جديـــرة بالطاعة والعبادة " فهذا الدين من حيث هـــو حالـــة نفســـية بمعنـــى التدين، وأما إذا نظرنا إليه من حيث هـــو حقيقـــة خارجـــة فنقـــول : " هو جملة النواميس النظريـــة التـــى تحـــدد صفـــات تلـــك القـــوة الإلهية وجملة القواعد العملية التى ترســـم طريـــق عبادتهـــا "[١].

---

(١) انظر : كتاب الدين د/ دراز صــــــ٢٨-٥١.

المبحث الثانى
عناصر الدين

الدين يشتمل على أربعة عناصر :

(١) المصدر : وهو الله جل شأنه، يقـــول اللـــه تعـــالى :﴿ الحمـــد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل لــــه عوجـــاً﴾ (١).

(٢) الوحى : يقول الله تعالى : ﴿ إنـــا أوحينـــا إليـــك كمـــا أوحينـــا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينـــا إلـــى إبراهيـــم وإســـماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيـــوب ويونـــس وهـــارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾(٢) ويقـــول اللـــه تعـــالى أيضـــاً : ﴿ حم عسق، كذلك يوحى إليك وإلـــى الذيـــن مـــن قبلـــك اللـــه العزيز الحكيم﴾(٣).

(٣) الموحى به : يقول الله تعـــالى : ﴿ واتبـــع مـــا يوحـــى إليـــك واصبر حتى يحكم الله وهو خـــير الحـــاكمين﴾(٤).

ويقول الله تعالى : ﴿ كذلك أوحينا إليك قرآنـــاً عربيـــاً لتنـــذر أم القرى ومن حولهـــا.. ﴾(٥).

(٤) الموحى إليه : يقول الله تعالى : ﴿ وما كـــان لبشـــر أن يكلمـــه الله إلا وحياً أو من وراء حجـــاب أو يرســـل رســـولاً فيوحـــى بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيـــم. وكذلـــك أوحينـــا إليـــك روحـــاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكـــن جعلنـــاه

(١) سورة الكهف : ١.   (٢) سورة النساء : ١٦٣.
(٣) الشورى : ١-٣   (٤) يونس : ١٠٩   (٥) الشورى : ٧

نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهــدى إلــى صــراط مستقيم. صراط الله الذى لــه مــا فــى السـموات والأرض ألا إلى الله تصير الأمــور (١).

فكل دين ليس له – أو فيه – مصدر الألوهيــة، فليــس مــن الجيد أن يسمى ديناً صحيحاً. فإذا أخذ الديــن عــن طريــق الفكــر الفلسفى المحض، أو له مزيج من الديــن الــذى لا يمكــن أن يجــد له نصاً معصوما، وإذا فقد الديــن الوحــى أو النبــوة مثــل نحلــة المسيحية – فليست ديناً صحيحاً، لأن قولهــم إن عيســى ابــن اللــه ينفى عنه النبوة، وبانتفاء النبوة ينتفى عنصر مــن عنــاصر الديــن الصحيح، فلا تبقى المسيحية متصفة بأنهــا ديــن مــن عنــد اللــه. وهكذا، فكل دين لا يشتمل على العنــاصر الأربعــة المذكــورة فقــد انخرم فيه خرم، ينفى عنه صفة الدين الذى هــو مــن عنــد اللــه، هذا ولئن كان القرآن قد اســتعمل لفــظ " الديــن " بمعنــاه الشــامل الذى تتدرج فيه نحل ومعتقدات المشركين كما فــى قولــه تعــالى : لكم دينكم ولى دين (٢)، فــإن القــرآن قــرر فــى أمــر الديــن أصولاً جعلت للدين معنــى شــرعاً خاصــاً، فــالدين لا يكــون إلا وحياً من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عبــاده ويرســلهم أئمــة يهدون بأمر الله.

---

(١) الشورى : ٥١ – ٥٣

(٢) الكافرون : ٦

فالدين الإلهى نظام كامل يشمل الفـــرد والأســـرة والمجتمـــع والدولة، وليس فقط طقوساً دينية ولا كهنوتيـــة وجدانيـــة، بـــل هـــو نظم كاملة للروح والجســـد، والدنيـــا والآخـــرة معـــاً، ومـــن فســـر الدين بغير هذا فهو ليس دين الاسلام، ولكنـــــه دينـــه هـــو، وبذلـــك تفترق صفات الدين الحق الذى هو دين اللـــــه، عـــن صفـــات ديـــن الشرك والأصنام والأهـــواء.

ونحن قـــد رضينـــا باللـــه تعـــالى ربـــاً، وبالإســـلام دينـــاً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيـــاً ورســـولاً.

المبحث الثالث

وحدة الدين

دين الله عز وجل يجمع أشتات الناس علـــى وحـــدة العمـــل، ووحدة التوجه، ووحــــدة الغايـــة والهـــدف، وصـــولاً إلـــى وحـــدة المصير، ولهذا فحرى به أن يكون واحداً، وهـــو كذلـــك.

فمرد الاعتقاد واحد، ومن اسمه يتحــــدد رســـمه ﴿إن الديـــن عند الله الإسلام﴾ (١) فهو يأمرنا ونحـــن نسـلم بمـــا أمـــر بـــه، لا نناقش ولا نجادل ولا نحـــاور.

قد تختلف أشكال العبادة مـــن شـــريعة إلـــى أخـــرى، ولكـــن ذلك لا يمنع من أن ما أمر الله به آدم منذ خلقه هـــو هـــو مـــا أمـــر به محمد صلى الله عليه وسلم، ولا تزال نـــأتمر بـــه إلـــى اليـــوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليهـــا.

وإنما نقصد بوحدة الدين وحدتــــه الموضوعيـــة فـــإن الأمـــر فيه بالاعتقاد واحد، مـــرد الأمـــر فيـــه إلـــى واحـــد، فـــإن المـــراد بالتدين هو إنسان ذلـــك العصـــر، وهـــو هـــو الإنســـان الأول (آدم) ولعل هذا السر الذى جعل جل خطاب الوحـــى إليـــه بهـــذه الصفـــة يا بنى آدم أو يا ابـــن آدم كمـــا أن تكوينـــه الروحـــى لا يختلـــف عن تكوين آدم الروحى الذى أحسن كل شـــئ خلقـــه وبـــدأ خلـــق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من ســـلالة من مـــاء مهيـــن. ثـــم

(١) آل عمران : ١٩٠

سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكـــم الســـمع والأبصـــار والأفئـــدة قليلاً ما تشـــكرون﴾[١].

آدم أول نبى، ولم يترق الإنسان فى عقائده كمـــا ترقـــى فـــى العلوم والصناعات، ولـــم تكـــن عقـــائده الأولـــى مســـاوية لحياتـــه الأولى، كمـــا يزعـــم أصحـــاب فكـــرة التطـــور - ابتـــدأ التـــاريخ البشرى بإنسان فيه كل خصائص الإنســـان، وفيـــه جميـــع عنـــاصر المادية والروحية، هو صورة من كل إنسان مـــن ولـــده جـــاء بعـــد ذلك، وهو صورة لآخر فرد يولـــد فـــى هـــذه الحيـــاة، أول إنســـان كآخر إنسان، خلق من تراب فيه كـــل عنـــاصر الأرض.

وابتدأ التاريخ البشرى بنبى جاء بـــالدين نفســـه الـــذى جـــاء به آخر نبى وخاتم الرسل، ووحدة الديـــن إنمـــا تبـــدو مـــن خـــلال قاعدتين أساسيتين : وحدة الموضوعية فـــى دعـــوة النـــاس جميعـــاً إلى رب واحد، لم يخالف فى ذلك نبى مـــن الأنبيـــاء ورســـول مـــن الرسل دعوة إلى التوحيد الخالص منـــذ آدم عليـــه الســـلام، وحتـــى ختم الرسالات،﴿ وما أرسلنا من قبلك من رســـول إلا نوحـــى إليـــه أنه لا إله إلا أنا فـــاعبدون﴾[٢].

---

(١) السجدة : ٧ - ٩

(٢) الأنبياء : ٢٥

فدعوة التوحيد هـــى الأصـــل الـــذى جـــاءت بـــه رســـالات السماء، وما الشـــرك والتعـــدد إلا مخـالفـــة واســـتثناء، كمـــا أعلـــن جميع الأنبياء عن إسلامهم للـــه رب العـــالمين..

والقـاعدة الثانيـة : وحـــدة التنظيـم، فـــإن الأنبيـــاء جميعـــاً يدعون أقوامهم إلى انتهـــاج منهـــج واحـــد فـــى أســـلوب حيـــاتهم، فالتشريع فى الدين منذ آدم وإلى آخر الأنبياء، فـــى الأصـــل واحـــد ﴿ ثم جعلناك على شـــريعة مـــن الأمـــر فاتبعهـــا ولا تتبـــع أهـــواء الذين لا يعلمون ﴾[1] ومثاله العبـــادات فـــى أصولهـــا، وإن اختلفـــت طرق الأداء والكيفيات، وكـــذا تنظيـــم العلاقـــات والحـــض علـــى مكارم الأخلاق وحسن المعـــاملات.

وقد أتم الله النعمـــة وأكمـــل الديـــن بخـــاتم النبييـــن، عليـــه أفضل الصلاة وأزكى التســـليم.

(١) الجاثية : ١٨

المبحث الرابع

الفرق بين الدين الوضعى والدين السماوى

الدين الوضعى هو الدين الـــذى يكـــون مـــن وضـــع البشـــر أنفسهم، وهو عبارة عن مجموعة مـــن المبـــادئ والقوانيـــن العامـــة وضعهـــا بعـــض النـــاس المســـتنيرين لأممهـــم، ليســـيروا عليهـــا، ويعملوا بما فيها، والتـــى لـــم يســـتندوا فـــى وضعهـــا إلـــى وحـــى سماوى، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل، وإنمـــا هـــى جملـــة مـــن التعاليم والقواعد العامة اصطلحوا عليهـــا وســـاروا علـــى منوالهـــا، وخضعوا فيها لمعبود معين أو معبـــودات متعـــددة. والأمثلـــة علـــى الدين الوضعى كثيرة، منها الديانة البرهميـــــة فـــى الهنـــد، وكذلـــك الديانة البوذية فيهـــا وفـــى شـــرق آســـيا، ومنهـــا ديانـــة القدمـــاء المصريين، والديانة الفارسية القديمـــة وغيرهـــا.

أما الدين السماوى فهو تعاليم إلهية مـــن وضـــع اللـــه تعـــالى وارشـــادات ســـماوية مـــن لـــدن العليـــم الخبـــير بنفـــوس العبـــاد وطبائعهم، وما يحتاجون إليه فـــى إصـــلاح حـــالهم فـــى المعـــاش والمعـــاد، والدنيـــا والآخـــرة، إنـــه مجموعـــة التعـــاليم والأوامـــر والنواهى التى يجئ بها رسول من البشر أوحـــى اللـــه تعـــالى بهـــا إليه.

وفى مقدمتها الإيمان بخالق واحـــد موجـــه لهـــذا الكـــون، لا شريك له فى ملكه، يجب صرف العبـــادة كلهـــا إليـــه، والخضـــوع

والتذلل لهـــذا الإلـــه الخـــالق الـــرازق، ووجـــوب إفـــراده وحـــده بالعبادة، والإيمان بـــاليوم الآخـــر والحســـاب والجـــزاء، وبـــالثواب فى الجنة والنعيم المقيم، أو النار والعـــذاب الأليـــم.

وذلك مثل الديانة اليهودية فى أصلها كما جـــاء بهـــا موســـى عليه السلام، أو الديانـــــة المســـماه بالمســـيحية يـــوم أن جـــاء بهـــا المسيح عليه الســـلام.

وفى أفضل صورها وأصحها مثل الديـــــن الإســـلامى الـــذى جاء به النبى محمد صلى الله عليه وسلم رحمـــــة للعـــالمين، وكـــان هذا الدين خاتماً لجميع الرسالات السماوية، فـــلا وحـــى بعـــد نبـــوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا دين بعـــد الإســـلام.

وهـــا هـــى بعـــض الفـــروق بيـــن الأديـــان الوضعيـــــة، والرسالات الســـماوية.

وقولنا : الرسالات الســـماوية باعتبارهـــا دينـــاً واحـــداً فـــى صورة رسالات متعـــددة وليســـت أديانـــاً متعـــددة أو مختلفـــة، وإن وقع الاختلاف فهو تنوع لا تضاد، يقع فـــى الشـــرائع وليـــس فـــى المعتقدات، وفى الفروع وليس فـــى الأصـــول.

١- إن الدين السماوى دين قـــائم علـــى وحـــى اللـــه تعـــالى إلـــى البشر بواسطة رسول يختاره الله منهـــم، أمـــا الوضعـــى فهـــو جملة من التعـــاليم وضعهـــا البشـــر أنفســـهم واتفقـــوا عليهـــا،

واصطلحوا على التمسك بها والعمـــل بمـــا فيهـــا، إنهـــا تعـــاليم ناشئة عن تفكير الإنسان نفســـــه.

٢- الدين الســـــماوى يدعـــو دائمـــاً إلـــى وحدانيـــة اللـــه تعـــالى، واختصاص هذا الواحد بالعبادة، فـــلا يخضـــع المـــرء إلا للـــه، ولا يستعين إلا به، ولا يذبـــح إلا باســـمه..

أما الدين الوضعى فإنه يقـــدس الأحجـــار والأصنـــام، ويجـــيز تعدد الآلهة فيجعلها كثيرة ومتغـــايرة بـــل قـــد تكـــون متنـــافرة ومتخالفة، مثل إله الخير وإلـــه الشـــر، أو إلـــه الحـــرب وإلـــه السلم..

٣- الدين السماوى ينزه الإله المعبود عن مشـــابهته لخلقـــه، فاللـــه عز وجل لا يشبه شيئاً مـــن مخلوقاتـــه، لا فـــى ذاتـــه ولا فـــى صفاته ولا فى أفعاله، قال تعالى ﴿ قل هـــو اللـــه أحـــد، اللـــه الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـــواً أحـــد ﴾ (١)

أما الدين الوضعى فإنه يجيز أن يكـــون الإلـــه بشـــراً مثلهـــم أو حيوانـــاً أو حجـــراً يعبدونـــه ويخضعـــون لـــه، ويقدمـــون لـــه القرابين والهدايا، فقد عبـــد بعـــض النـــاس الشـــمس وعبـــدوا العجل، واتخذوا فرعون الذى قال لهم ﴿ أنـــا ربكـــم الأعلـــى ﴾ (٢) إلهاً، وعبدوا الأصنام والأوثان. مع أن هـــذه الآلهـــة كلهـــا

---

(١) سورة الإخلاص

(٢) النازعات : ٢٤

التى عبدوها مـــن دون اللـــه لا تســـتطيع أن تخلـــق شـــيئاً، ولا تقدم نفعاً ولا تمنع ضراً لا لنفسها ولا لغيرهـــا، قـــال تعـــالى : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شـــيئاً وهـــم يخلقـــون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعـــاً ولا يملكـــون موتـــاً ولا حيـــاة ولا نشوراً ﴾ (٢).

٤- الدين السماوى بالنسبة لمســـائل العقيـــدة غـــير قـــابل للنســـخ والتبديل أو التغيـــير، فعقيـــدة الرســـل جميعهـــم واحـــدة، فيمـــا يتعلق بالله تعالى وصفاته والرسل وعصمتهـــم، واليـــوم الآخـــر وما يكون فيه من ثـــواب أو عقـــاب، إن الخـــالق عنـــد جميـــع الرسل واحد، وأن هذا الخالق تجب عبادتـــه واختصاصـــه جـــل شأنه بالعبادة..

أما الدين الوضعى فالمعبود فيه يتغير، فقـــد يتغـــير مـــن جيـــل إلى جيل، ومن قبيلة إلى أخـــرى...

٥- الدين الوضعى يلازمه النقص وعدم الكمال، وذلـــك أنـــه مـــن وضع الإنسان، والإنسان لا يمكنـــه أن يحيـــط بجميـــع حاجـــات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائمـــاً.

(٢) الفرقان : ٣

أما الدين السماوى فهو كامل، إنـــه تـــام شـــامل، لأنـــه مـــن وضع خالق السموات والأرض، وعـــلام الغيـــوب الـــذى لا تغيـــب عنه صغيرة ولا كبيرة والذى يحيط بكل شـــــىء علمـــاً... (١)

(١) دراسات فى الأديان : أديان العالم القديم د/ أحمد غلوش.

المبحث الخامس

وقفات مع كلمات

الملة :

لغـــة : كمـــا يقـــول صـــاحب القـــاموس : الملـــة بالكســـر، الشريعة أو الدين.

ويقول الزمخشـــرى : قـــال فـــى أســـاس البلاغـــة : ومـــن المجاز فى استعمال الملة بمعنى الطريقة المســـلوكة، ومنهـــا : ملـــة إبراهيم حنيفاً، وامتل فلان ملـــة الإســـلام، وعليـــه : فـــالفرق بيـــن الدين والملة أن الدين ما يكون عليه كـــل واحـــد مـــن أهـــل الملـــة الواحدة، وأن الملة اسم لجملـــة الشـــرائع.(١)

ثم يبين الراغـــب الأصفهـــانى الفـــرق بيـــن الملـــة والديـــن فيقول : والفرق بين الملة والديـــن : أن الملـــة لا تضـــاف إلا إلـــى النبى عليه السلام التى تستند إليه، نحـــو ﴿ فـــاتبعوا ملـــة إبراهيـــم حنيفاً ﴾(٢)،﴿ واتبعت ملة آبائى ﴾(٣)، ولا تكـــاد توجـــد مضافـــة إلى الله ولا إلى آحاد أمـــة النبـــى صلـــى اللـــه عليـــه وســـلم، ولا يستعمل إلا فى جملة الشرائع دون آحادها، فلا يقـــال : ملـــة اللـــه، ولا يقال ملتى، كما يقال : دين اللـــه ودينـــى، ولا يقـــال للصـــلاة :

(١) دراسات فى الملل والنحل د/ حامد على الخولى ص٢٢ - ٢٤ بتصرف

(٢) آل عمران : ٩٥.

(٣) يوسف : ٣٨

ملة الله، فالملة تضـــاف إلـــى مـــن أضيـــف إليـــه، والديـــن يضاف إلى من يعتنقه ويؤمن بـــــه.

وقال أبو هلال العســـكرى، فـــى كتابـــه الفـــروق اللغويـــة : الملة : اسم لجملة الشرائع، والدين : اسم لما عليه كـــل واحـــد مـــن أهل الشرائع، ويقال : لخلاف " الذمـــــى " " الملـــى ".. لأن " الملـــة " اسم للشرائع مع الاقـــرار باللـــه، و " الديـــن " مـــا يذهـــب إليـــه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله، وإن لم يكـــن فيـــه شـــرائع مثـــل دين أهل الشرك، وكل ملة دين، وليس كـــل ديـــن ملـــة، واليهوديـــة ملة، لأن فيها شرائع، وليس الشرك ملة، وإذا أطلـــق الديـــن، فهـــو الطاعة العامة التى يجازى عليها بـــالثواب، مثـــل قولـــه تعـــالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾(١)، وقيل : الملـــة هـــى الديـــن وفـــى الحديث : " لا يتوارث أهـــل ملتيـــن " (٢).

ويتابع أبو هلال العسكرى حديثـــه قـــائلاً : وســـميت الملـــة ملة، لاستمرار أهلها عليها، وقيـــل أصلهـــا التكـــرار مـــن قولـــك : طريق مليل إذا تكرر ســـلوكه حتـــى توطـــأ، ومنـــه الملـــل وهـــو تكرار الشىء على النفس حتـــى تضجـــر. وقيـــل : الملـــة، مذهـــب جماعة يحمى بعضهم لبعـــض عنـــد الأمـــور الطارئـــة، وأصلهـــا " المليلة " وهى ضـــــرب مـــن الحمـــى، ومنـــه " الملـــة " بـــالفتح –

(١) آل عمران : ١٩

(٢) رواه البخارى برقم ٦٤٦٢ ومسلم برقم ١٦١٤ والترمذى برقم ٢١٨٩.

موضع النار – وذلك أنـــه إذا دفـــن اللحـــم وغـــيره تكـــرر عليـــه الحمى حتى ينضج، وفى أصل الكلمة : أمللـــت أو أمليـــت الكتـــاب ﴿ فليملل الذى عليه الحـــق... أولا يســـتطيع أن يمـــل هـــو فليملـــل وليه بالعدل.. ﴾ (١). وكـــذا مللـــت الشـــىء : أعرضـــت عنـــه أى اضجرت وفى الحديث " إن الله لا يمل حتـــى تملـــوا " (٢).

والملة شرعاً : اسم لما شـــرعه اللـــه تعـــالى لعبـــاده علـــى لسان نبيه ليتوصلوا به إلى أجل ثوابه، والديـــن مثلهـــا، لكـــن تقـــال باعتبار الدعاء إليه، والدين باعتبار الطاعة والانقيـــاد لـــه، والملـــة: الطريقة أيضاً، ثم نقلـــت إلـــى أصـــول الشـــرائع، مـــن حيـــث إن الأنبياء يعلمونهـــا ويســـلكونها ويســـلكون مـــن أمـــروا بإرشـــادهم بالنظر إلى الأصل... وبهـــذا الاعتبـــار لا تضـــاف إلا إلـــى النبـــى الذى تستند إليه..

ولم تأت الملة فى البيان القرآنـــى مضافـــة إلـــى اللـــه عـــز وجل، وإنمـــا جـــاءت مضافـــة إلـــى البشـــر، بمـــا يشـــمل الديـــن الصحيح، والدين الفاسد أيضـــاً.

ومن نماذج الدين الصحيـــح : إضافـــة الملـــة إلـــى إبراهيـــم الخليل عليه السلام فى قوله تعـــالى : ﴿ ومـــن يرغـــب عـــن ملـــة

---

(١) البقرة : ٢٨٢.

(٢) رواه البخارى برقم ١١٥١، ٤٣.

إبراهيم إلا من سـفه نفسـه..﴾(١) وقوله عـز وجـل ﴿ وقـالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بـل ملـة إبراهيـم حنيفـاً ومـا كان من المشـركين﴾(٢).

وأضيفت إلى آباء يوسف عليهم السلام فـي قولـه سـبحانه: ﴿ واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسـحق ويعقـوب مـا كـان لنـا أن نشرك بالله من شئ.. ﴾(٣). وكذا قـال اللـه : ﴿ فـاتبعوا ملـة إبراهيم حنيفاً﴾(٤) وأيضاً : ﴿ديناً قيماً ملة إبراهيـم حنيفـاً﴾(٥).

وجاءت الملة فـى البيـان القرآنـى بمعنـى الديـن الفاسـد والاعتقاد الخاطئ مضافـة إلـى هـؤلاء المسـتكبرين مـن قـوم شعيب، قال تعالى : ﴿ قـال المـلأ الذيـن اسـتكبروا مـن قومـه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك مـن قريتنـا أو لتعـودن فـى ملتنا قال أولو كنا كـارهين.. ﴾(٦).

وقال تعالى على لسان يوسف : ﴿ إنى تركـت ملـة قـوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هـم كـافرون﴾(٧)

وفى قصة أصحـاب الكهـف ﴿ إنهـم إن يظهـروا عليكـم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحـوا إذاً أبـداً ﴾(٨).

---

(١) البقرة : ١٣٠
(٢) البقرة : ١٣٥
(٣) يوسف : ٣٨
(٤) سورة آل عمران ٩٥
(٥) سورة الأنعام ١٦١
(٦) سورة الأعراف ٨٨
(٧) سورة يوسف ٣٧
(٨) سورة الكهف ٢٠

والكافرون من أقوام الأنبيـــــاء علـــى مـــدى الأجيـــال، قـــال تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لرســـلهم لنخرجنكـــم مـــن أرضنـــا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكـــن الظـــالمين﴾(١).

وقال تعالى عن اليهود والنصارى : ﴿ولـــن ترضـــى عنـــك اليهود ولا النصارى حتى تتبـــع ملتهـــم قـــل إن هـــدى اللـــه هـــو الهدى.. ﴾(٢).

وبهذا يتبين – فى لغـــة القـــرآن – أن الملـــة تشـــمل الديـــن كله، سواء كانت له صلة بالوحى الإلهى، أم ليست لـــــه صلـــة.

النحلة :

يقـــول صـــاحب القـــاموس : والنحلـــة بالكســـر والضـــم.. وانتحله وتنحله : ادعاه لنفسه وهو لغيره، ونحلـــه القـــول – كمنعـــه – نسبه إليه، ونحله فلان : سابه، ونحـــل جســـمه نحـــولاً : ذهـــب من مرض أو سفر فهو ناحل ونحيل وهـــى ناحلـــة، وانحلـــة الهـــم، والنحلة بالكسر الدعـــوى.

ويقول الراغـــب الأصفهـــانى : والانتحـــال ادعـــاء الشـــئ وتناوله، ومنه يقال : فلان ينحل الشـــعر، ويقـــال : مـــا نِحْلَتُـــك أى ما دينك ؟ وجاء فى القاموس المحيـــط مـــا يلـــى : النحـــل : ذبـــاب العسل للذكر والأنثى، واحدتهـــا " نحلـــة ".

(١) سورة إبراهيم : ١٣ (٢) سورة البقرة : ٢٢

والنحلـــة : العطـــاء بـــلا عـــوض، والشـــىء المعطـــــى أو العطية.

والنحل بالضم مصـــــدر نحلـــة أى إعطـــاء، ومهـــر المـــرأة نحلة ﴿ وآتوا النساء صدقُـــاتهن نحلـــة ﴾(١).

هذا.. والنحلة هى عكس الملـــة، فالنحلـــة ديـــن مـــن وضـــع البشر، والملة من وضع الله. والنحلة فى القرآن الكريـــم لـــم تـــرد النحلة فى القرآن المجيـــد بـــأى معنـــى يتصـــل بـــالدين أو الفكـــر، وإنما جاءت بمعنى واحد وهو العطـــاء الخـــالص كمـــا فـــى قولـــه تعالى ﴿ وآتوا النســـاء صدقُـــاتهن نِحلـــة﴾ ى عطيـــة خالصـــة، فالمهر فى الـــــزواج ليـــس مقـــابل المتعـــة لأنهـــا مشـــتركة بيـــن الزوجين، وليس مقابل تأثيث المنزل فهـــو واجـــب الـــزوج وحـــده بقدر طاقته، وإنما المهـــر رمـــز للوفـــاء والمحبـــة يقدمـــه الرجـــل عطية خالصة ولهذا كان أقلهـــن مهـــوراً أكـــثرهن بركـــة، فـــالمهر يتحقق بأى شىء ولو كان خاتماً مـــن حديـــد.

هذا.. وقد اصطلـــح أهـــل العلـــم علـــى تســـمية الرســـالات السماوية بالملل.

وتسمية الأديان الوضعيـــــة التـــى هـــى مـــن صنـــع البشـــر بالنحل، وفى ذلك تقرأ كتاب " الملـــــل والنحـــل " للشهرســـتانى، أو " الفصل بين الملل والأهواء والنحل " لابن حـــزم، وغيرهمـــا، ومـــن

(١) سورة النساء : ٤

أجل هذا فرقوا بين الكلمتين بفروق تبين المعنى المراد، وإن كان الأمر – كما علمت – أن كلمة ملة تطلق على الدين الصحيح والمحرف والباطل أيضاً.

الفرق بين الملة والنحلة :

لقد اصطلح على تسمية الدين الذى جاء به رسل الله من عند الله عز وجل بالملة، والدين الباطل الذى اخترعه الناس – إما انشاء من عند أنفسهم أو تحريفاً وتغييراً لما أنزل الله – بالنحلة. وعلى هذا فإن الملة تقابل النحلة فى أمور :

الملة من عند الله : ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ (١) والنحلة من عند البشر.

الملة وحى الله : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ (٢) والنحلة نتاج أفكار البشر واجتهادات عقولهم.

الملة مرتبطة برسول الله : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٣) والنحلة تنسب إلى أشخاص يخطئون ويصيبون مهما بلغوا من المعرفة.

(١) سورة طه : ١٢٣

(٢) سورة النساء : ١٦٣

(٣) سورة النساء : ١٦٥

الملة لها كتاب أنزله الله على رسوله :﴿ كـــان النـــاس أمـــة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذريـــن وأنـــزل معهـــم الكتـــاب بالحق ليحكم بين النـــاس فيمـــا اختلفـــوا فيـــه.. ﴾[١] والنحلـــة وإن سطرت فى كتاب فإنه كتاب أرضى لا كمال فيـــه ولا قداســـة لـــه.

الملة عقيدة وشريعة : ﴿ قل إنما حـــرم ربـــى الفواحـــش مـــا ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحـــق وأن تشـــركوا باللـــه ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا علـــى اللـــه مـــا لا تعلمـــون﴾[٢] والنحلة ليست بهذا الشمول، وقد لا تتجـــه إلا إلـــى الخـــداع المـــاكر لخدمة أهواء مبتدعيها وفرض زعامتهم علـــى النـــاس.

الملـــة صـــلاح الدنيـــا والآخـــرة : ﴿ ألا إن أوليـــاء اللـــه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذيـــن آمنـــوا وكـــانوا يتقـــون، لهـــم البشرى فى الحياة الدنيـــا وفـــى الآخـــرة.. ﴾[٣] والنحلـــة قـــاصرة على الدنيا، تقود بالأمانى وتغرى بالمتعـــة المحـــدودة.

(١) سورة البقرة : ٢١٣

(٢) سورة الأعراف : ٣٣

(٣) سورة يونس : ٦٢ – ٦٤

الملة يشهد لها الإعجاز ﴿ أولـــم يكفهـــم أنـــا أنزلنـــا عليـــك الكتـــاب يتلـــى عليهـــم إن فـــى ذلـــك لرحمـــة وذكـــرى لقـــــوم يؤمنون ﴾(١) والنحلة يشهد عليها العجـــز والقصـــور.

الملة حق لا ريب فيه : ﴿ يا أيها الناس قـــد جـــاءكم برهـــان من ربكم وأنزلنا إليكم نـــوراً مبينـــاً ﴾ (٢) والنحلـــة ظـــن لا يغنـــى من الحق شـــيئاً. (٣)

الشريعة :

الشرع فى اللغة : مصـــــدر شَـــرَعَ بـــالتخفيف، والتشـــريع : مصدر شَرَّعَ بالتشديد، والشـــريعة فـــى أصـــل وضعهـــا اللغـــوى : مورد الماء الذى يُقصـــــد للشـــرب، يقـــال : شـــرعت الإبـــل : إذا وردت شـــريعة المـــاء، ثـــم اســـتعملها العـــرب فـــى الطريقـــــة المستقيمة، يقال : شرع له الأمـــــر بمعنـــى ســـنَّه وبيـــن طريقتـــه، والشرع والشريعة : نهج الطريـــق الواضـــح.

وقال بعض العلمـــــاء : ســـميت الشـــريعة بشـــريعة تشـــبيهاً بشريعة المـــــاء مـــن حيـــث إن مـــن شـــرع فيهـــا علـــى الحقيقـــة المصدوقة روى وتطهـــر.

---

(١) سورة العنكبوت : ٥١

(٢) سورة النساء : ١٧٤

(٣) دراسات فى الأديان.

وجاء في القاموس : الشريعة ما شرع الله لعباده، والظاهر المستقيم من المذاهب، كالشرعة بالكسر وقال ابن عباس : الشرعة : ما ورد به القرآن الكريم، والمنهاج ما ورد به السنة.

وقوله تعالى :﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً.. ﴾ (١) إشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها الملل. ويراد بالشريعة كل ما شرعه الله للمسلمين من دين سواء أكان بالقرآن نفسه أم بسنة الرسول ، فهي لهذا تشمل أصول الدين. أي ما يتعلق بالله وصفاته. والدار الآخرة وغير ذلك.

والشريعة في الاصطلاح : ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة لتحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة.

فشريعة الله هي المنهج الحق المستقيم الذي يصون الإنسانية من الزيغ والانحراف، ويجنبها مزالق الشر ونوازع الهوى، وهي المورد العذب الذي يشفي صدورها ويحيي نفوسها، وترتوي به عقولها، ولهذا كانت الغاية من شرع الله استقامة الإنسان على منهج الله لينال عز الدنيا وسعادة الآخرة.

(١) سورة الشورى : ١٣

كما أنه تذكر الشريعة ويراد بها الفقه فـــى بعــض الأحيـــان من باب إطلاق العام ويراد به الخاص، وذلـــك فـــى مثـــل قولنـــا : عقيدة وشريعة.

ويقول الشـــاطبى فـــى تعريـــف الشـــريعة أيضـــاً إن معنـــى الشـــريعة أنهـــا تحـــد للمكلفيـــن حـــدوداً فـــى أفعـــالهم وأقوالهـــم واعتقاداتهم، وهو جملة مـــا تضمنتـــه، ومعنـــى هـــذا أن الشـــريعة مرادفة للدين، وليس يراد بها الفقـــه وحـــده لأن الفقـــه لا يتعـــرض للاعتقادات كما هو معلـــوم.

وقد عرفت اللغة العربية كلمة " شريعة قبـــل. كلمـــة " فقـــه" بزمن طويل، ذلك بأننا نجـــد مـــادة شـــرع ومشـــتقاتها وردت فـــى كثير من القرآن الكريم، بل نجد كلمـــة " شـــريعة " نفســـها جـــاءت فى قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شـــريعة مـــن الأمـــر فاتبعهـــا. ﴾ [١] وهذا فى مقابل الشرائع الســـابقة.

وفى بيان الفرق بين الدين والشـــريعة: يقـــول " أبـــو هـــلال العسكرى " : الفرق بين الدين والشـــريعة هـــو : أن الشـــريعة هـــى الطريقة المأخوذة فيها إلى الشىء، ومن ثـــم ســـمى الطريـــق إلـــى الماء شريعة ومشرعة، وقيل الشارع لكثرة الأخـــذ فيـــه.

والدين ما يطاع به المعبـــود، ولكـــل واحـــد منهـــا شـــريعة، والشريعة فى هذا المعنى نظـــر الملـــة، إلا أنهـــا تفيـــد مـــا يفيـــده

(١) سورة الجاثية : ١٨

الطريق المأخوذ ما لا يفيد الملة، ويقـــال شـــرع فـــى الديـــن شريعة، ولا يقال طرق فيه طريقاً، والملـــة تفيـــد اســـتمرار أهلهـــا عليها.

وجاء فى مقـــاييس اللغـــة لابـــن فـــارس : الشـــين والـــراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح فى امتـــداد يكـــون فيـــه، مـــن ذلك الشريعة وهو مـــورد الشـــاربة المـــاء، واشـــتق مـــن ذلـــك : الشرعة فى الدين والشـــريعة.

وجاء فى أساس البلاغة للزمخشـــرى : شـــرع اللـــه الديـــن، وشرع فى الماء شـــروعاً، وورد الشـــرع والشـــريعة، والشـــرائع، نعم الشرائع ، مـــن وردهـــا رُوِىَ و إلا رَوَىَ.(١٠)

ويسمى الشرع أيضاً بـــالدين، والملـــة، فـــإن الأحكـــام مـــن حيث إنها تطاع يقال لها دين، ومن حيث إنها تملـــى وتكتـــب ملـــة، ومن حيث إنها مشروعة شرعة، فالتفاوت بينهـــا بحســـب الاعتبـــار لا بـــالذات، إلا أن الشـــريعة والملـــة تضافـــان إلـــى النبـــى عليـــه السلام، وإلى الأمة فقط استعمالاً، والدين يضاف إلـــى اللـــه تعـــالى أيضاً، والشرعة هى عبارة عن مطلـــق الشـــريعة، وهـــى الأشـــياء التى أوجب الله على المكلفين أن يشـــرعوا فيهـــا، وهـــى مـــا ســـن الله من الدين وأمر به كالصلاة والزكـــاة والصـــوم والحـــج وســـائر أعمال البر.

---

(١٠) – المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب د/ محمد فتح الله بدران ص ٥٩–٦٠

ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك علـــى شــريعة مــن الأمــر ﴾ وقوله : ﴿ لكل جعلنا منكـــم شـــرعة ومنهاجـــاً ﴾ (١) فالشـــرعة فى الدين والمنهـــاج فـــى الطريـــق، وقيـــل : الشـــرعة والمنهـــاج جميعاً الطريق، والطريق ها هنا الديـــن، وقيـــل : الشـــرعة معناهـــا ابتداء الطريق، والمنهاج : الطريـــق المســـتقيم.

وقال ابن عباس : شرعة ومنهاجاً : ســـبيلاً وســـنة.

المنهاج :

نهج : النهـــج الطريـــق الواضـــح، فنهـــج الأمـــر، وأنهـــج وضح، ومنهج الطريق ومنهاجه ونهج الثوب وأنهج بـــان فيـــه أثـــر البلى، وقد أنهجه البلـــى.

والمنهاج شرعاً :

هو الطريق الواضح، قـــال تعـــالى : ﴿لكـــل جعلنـــا منكـــم شرعة ومنهاجاً﴾ وفى الحديث عن العباس رضـــى اللـــه عنـــه : " لم يمت رسول الله صلى اللـــه عليـــه وســـلم حتـــى ترككـــم علـــى طريق ناهجة، أى واضحة بينة " واللـــه أعلـــم.

---

(١) سورة المائدة : ٤٨

الفصل الثانى : الدين حقائق ومسلمات

المبحث الأول

هل هو دين أم أديان ؟

إن كلمة الدين يصح أن تطلق على الديـــن الصحيـــح وغــير الصحيح، ولكن من ناحية اللغة، ولذلـــك صـــح جمعهـــا لغـــة، ولـــم يصح شرعا ﴿ إن الدين عند الله الاســـلام ﴾ (١) وهـــى فـــى ذلـــك مثل كلمة " إله " تطلق علـــى الإلـــه الحـــق، وعلـــى الإلـــه المؤلـــه نفسه أو الذى ألهه الناس، واللغة لا تمانع مـــن ذلـــك، ولـــذا يقـــال : إله ويجمع على آلهـــة.

ومثل ذلك كلمة " رسول " بمعنى المرســـل مـــن عنـــد اللـــه، أو هو المرسل من قبـــل الملـــك أو أحـــد النـــاس، ومثلهـــا كلمـــة " حديث " فهو ما قاله الرسول أو نسب إليـــه، وكـــل مـــا يتحـــدث الناس عنه يسمى حديثـــا.

ويقول الدكتور عبد اللـــه دراز بعـــد أن تحـــدث عـــن عـــدة مذاهب، يطلق عليها " أديان " : لكن المسألة إنما هـــى فـــى صحـــة تسمية هذه المذاهب أديانا، ونحن لا نـــرى مانعـــا مـــن أن يصطلـــح على هذه التسمية، ولكنـــه يكـــون اصطلاحـــا نابيـــا عـــن معهـــود الناس، مجافيا لذوق اللغات، ولا سيما لغتنا العربيـــة التـــى لا تفهـــم

---

(١) سورة آل عمران : ١٩

من اسم الدين إلا اعتقاد بشيء يدين لـــه المـــرء، أي يخضـــع له، ويتوجه إليه بالرغبة والرهبة والتقديـــس، بـــل إننـــا لا نبـــالغ إذا قلنا : إن كل مذهب يخلو مـــن هـــذه الدينويـــة هـــو أحـــق باســـم " الفلسفة الجافة " منه باسم آخـــر.

ويقول الدكتور عبد الناصر أحمـــد حبيـــب : ويجمـــع الديـــن على أديان، وديانات، والأول هو الشـــائع فـــي الاســـتعمال، ويـــدل على هذا ما ورد في الصحيـــح باســـناد حســـن عـــن ابـــن عبـــاس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى اللـــه عليـــه وســـلم :

أي الأديان أحب إلى الله عـــز وجـــل ؟ فقـــال : " الحنيفيـــة السمحة ".

وفي رواية علقها البخاري، قال صلـــى اللـــه عليـــه وســـلم : " أحب الدين إلى الله تعالى " الحنيفيـــة الســـمحة " (١)

فأفرد الدين، كأنه يصوب للســـائل، مبينـــا أن لا جمـــع منـــه، لأنه فـــي الحقيقـــة ليـــس إلا واحـــدا، أي لأن الديـــن واحـــد وهـــو الاسلام. وقد علمت أن هذا من حيث الشرع لا مـــن حيـــث اللغـــة.

---

(١) رواه ابن سعد جـ٣ صـ٢٧٨، وهو حديث حسن لغيره ورواه مرسلا، وله شاهد مـــن رواية عبد العزيز بن مروان مرسلا وأحمد في الزهد برقم ٢٢٩، ٢٣٠، والبخاري معلقـــا، ووصله في الأدب فهو صحيح.

المبحث الثانى

موقف الاسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها

إذا أخذنا كلمة " الإسلام " بمعناها القرآنـــى نجدهـــا لا تـــدع مجالاً لهذا السؤال عن العلاقة بين الاســـلام وبيـــن ســـائر الأديـــان السماوية، فالإسلام فى لغة القرآن ليس اسماً لديـــن خـــاص. وإنمـــا هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبيـــاء، وانتســـب إليـــه كل أتباع الأنبياء، ولم لا ؟ والاســـلام هـــو ديـــن اللـــه ﴿إن الديـــن عند اللـــه الإســـلام ﴾ (١) ومـــن ثـــم فهـــو ديـــن جميـــع الأنبيـــاء والرسل. كما قال الله تعالى عن نـــوح عليـــه الســـلام وهـــو يقـــول لقومه { وأمرت أن أكون مـــن المســـليمن } (٢) وإبراهيـــم عليـــه السلام قال { أسلمت لرب العالمين } (٣) ويعقـــوب يوصـــى بنيـــه { فلاتموتن إلا وأنتـــم مســـلمون } (٤) وأبنـــاء يعقـــوب يجيبـــون أباهم { نعبد إلهك وإله آبـــائك إبراهيـــم وإســـماعيل وإســـحق إلهـــاً واحداً ونحن له مسلمون } (٥) وموسى يقـــول لقومـــه { يـــا قـــوم إن كنتـــم آمنتـــم باللـــه فعليـــه توكلـــوا إن كنتـــم مســـلمين } (٦)

---

(١) سورة آل عمران : ١٩

(٢) سورة يونس : ٧٢

(٣) سورة البقرة : ١٣١

(٤) سورة البقرة : ١٣٢

(٥) سورة البقر : ١٣٣

(٦) سورة يونس : ٨٤

والحواريون يقولــون لعيســى { آمنــا باللــه واشــهد بأنــا مسلمون } (١) بل إن فريقا من أهل الكتاب حيــن ســمعوا القــرآن { قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا مــن قبلــه مســلمين } (٢) وهذا سيدنا سليمان يدعو إلى الاســلام { إنــه مــن ســليمان وإنــه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلــو علــيّ وأتونــى مســلمين } (٣) فلما أسلمت بلقيس قالت { رب إنى ظلمــت نفســى وأســلمت مــع سليمان لله رب العالمين }(٤) وهــذا النبــى الخــاتمصلى اللــه عليــه وسلم به أُمر { وأمرت أن أكون مــن المســلمين } (٥).

وبالجملة فان اسم الاسلام شــعار عــام يــدور فــى القــرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منــذ أقــدم العصــور التاريخيــة إلــى عصر النبوة المحمدية، ثم نرى القرآن يجمــع هــذه القضايــا كلهــا فى قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد، ويبين لهــم فيهــا أنــه لــم يشرع لهم دينا جديدا، وإنما هو دين الأنبيــاء مــن قبلهــم { شــرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينــا إليــك ومــا وصينــا بــه إبراهيــم وموســى وعيســى أن أقيمــوا الديــن ولا تتفرقــوا فيه }(٦).

(١) سورة آل عمران : ٥٢
(٢) سورة القصص : ٥٣
(٣) سورة النمل : ٣٠ ، ٣١
(٤) سورة النمل : ٤٤
(٥) سورة النمل : ٩١
(٦) سورة الشورى : ١٣

ثم نراه بعد أن يسـرد سـيرة الأنبيـاء وأتبـاعهم ينظمهـم فـي سلك واحد، ويجعل منهم جميعا أمة واحدة، لها إلـه واحـد، كمـا لهـا شريعة واحدة { إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنـا ربكـم فـاعبدون }(١).

ما هذا الدين المشترك الـذى اسـمه الاسـلام، والـذى هـو دين كل الأنبياء والمرسـلين ؟

إن الذى يقرأ القرآن يعـرف كنـه هـذا الديـن : إنـه هـو التوجه إلى اللـه رب العـالمين فـي خضـوع خـالص لا يشـوبه شرك، وفي إيمان واثق مطمئن بكل ما جـاء مـن عنـده علـى أي لسان وفي أي زمـان أو مكـان، دون تمـرد علـى حكمـه، ودون تمييز شخصي أو طائفي أو عنصـرى بيـن كتـاب وكتـاب مـن كتبه، أو بين رسول ورسول مـن رسـله، هكـذا يقـول القـرآن { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصيـن لـه الديـن } (٢) ويقـول : { قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنـزل إلـى إبراهيـم وإسـماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسـى وعيسـى ومـا أوتـي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحـن لـه مسـلمون }(٣)

نقول : إذاً إن الاسـلام بمعنـاه القرآنـي الـذى وصفنـاه لا يصلح أن يكون محلا للسؤال عن علاقة بينه وبيـن سـائر الأديـان

---

(١) سورة الأنبياء : ٩٢

(٢) سورة البينة : ٥

(٣) سورة البقرة : ١٣٦

السماوية، إذ لا يسئل عـــن العلاقـــة بيـــن الشـــيء ونفســـه، فهاهنا وحدة لا انقسام فيها ولا اثنينيـــة، وهـــذا يرجـــع إلـــى أصـــل الدين قبـــل أن يدخلـــه تحريـــف، كـــالذى حـــدث مـــن اليهـــود والنصارى. (1)

---

1 الدين د / دراز صـــ١٨٣، ١٨٤ بتصرف.

المبحث الثالث

أهم عوامل الانحراف عن الدين الصحيح :

من المعلـــوم أن الانحـــراف طـــرأ علـــى البشـــرية، لأنهـــا نشأت مستقيمة على دين صحيح أوحـــى اللـــه بـــه إلـــى آدم عليـــه السلام، واستمرت الأجيال عليه قرونا عديـــدة، كمـــا ســـبق بيانـــه، ولكن وقع الانحراف بعد ذلك عن الدين الصحيـــح لأســـباب أهمهـــا

اولا : عداوة الشيطان للإنسان وتربصه به :

وقد علم أن الشيطان أعلـــن عـــن عدائـــه لآدم وبنيـــه منـــذ البداية، أو مع حادثة امتناعه عن السجود لآدم عليـــه الســـلام، وقـــد توعد آدم وذريته بالإغواء والإضـــلال بكـــل مـــا يســـتطيع، وكمـــا حدث القـــرآن الكريـــم عنـــه قـــائلا: { قـــال فبعزتـــك لأغوينهـــم أجمعين. إلا عبادك منهـــم المخلصيـــن } [1].

وكذا قال ربنا عنـــه { قـــال فبمـــا أغويتنـــى لأقعـــدن لهـــم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهـــم ومـــن خلفهـــم وعـــن أيمانهم وعن شـــمائلهم ولا تجـــد أكـــثرهم شـــاكرين } [2] وقـــال تعالى فى الحديث القدسى " إنـــى خلقـــت عبـــادى حنفـــاء فجـــاءتهم

---

[1] سورة ص : ٨٢ - ٨٣

[2] سورة الأعراف : ١٦ - ١٧

تعالى فى الحديث القدسى " إنـــى خلقـت عبــادى حنفــاء فجــاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم مـــا أحللــت لهــم}[1].

فالشيطان يوســوس للإنســان ويزيــن لــه مخالفــة الشــرع والخروج عنه ولو بقصد الخير، وهـــو فـــى ذلــك يــأخذ الانســان خطوة خطوة، كما قال تعالى { يـــا أيهـــا الذيـــن آمنـــوا لا تتبعـــوا خطوات الشـــيطان ومـــن يتبـــع خطـــوات الشـــيطان فإنـــه يـــأمر بالفحشاء والمنكـــر } [2]

وهو فى ذلك له أهـــداف وغايـــات، فـــأهم غاياتـــه { إنمـــا يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير } [3] ومـــن أكـــبر أهدافـــه { كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفـــر قـــال إنـــى بـــرئ منك إنى أخاف الله رب العالمين. فكان عاقبتهما أنهمـــا فـــى النـــار خالدين فيها وذلك جـــزاء الظـــالمين } [4].

وفى قصة اضلاله للبشرية ووقوعهـــا فـــى الشـــرك – مـــن بداية الأمر – يحدثنا ابن عبـــاس فيقـــول : " ود وســـواع ويغـــوث ويعوق ونسر " هذه أسماء رجال صالحين مـــن قـــوم نـــوح، فلمـــا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبـــوا إلـــى مجالســـهم التـــى

---

[1] رواه مسلم (١٥٩/٨) واحمد (١٦٨/٤) واى اسحاق الحرب (٢٤/٥) والبغوى (٢٥١/١)

[2] سورة النور : ٢١

[3] سورة فاطر : ٦

[4] سورة الحشر : ١٧

كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأســـمائهم، ففعلـوا، فلـم تعبـد حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلــم عبــدت " (1).

قال ابن عباس : وصارت هــذه الأوثـــان التـــى كـــانت فـــى قوم نوح فى العرب بعـــد...

وقال ابن جرير فى تفســيره : كـــانوا قومـــا صـــالحين بيـــن آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتـــدون بهـــم فقـــالوا : لـــو صورنـــاهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرنـــاهم، فصوروهـــم، فلمـــا مـــاتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كـــانوا يعبدونهـــم، وبهـــم يستقون المطر، فعبدوهـــم.

ومما سبق ندرك أن هذه الحادثـــة هـــى بدايـــة الشـــرك فـــى العالم كله إلى أن وصلت إلى الجزيرة العربية، ولكـــن اللـــه أرســـل الرسل لكى يخرجوهم عن عبادة الأوثـــان إلـــى عبـــادة الرحمـــن، ومن عقيدة الشرك إلى عقيدة التوحيـــد.

وهذا الســـبب يوصلنـــا إلـــى الســـبب الثـــانى مـــن أســـباب الانحراف :

---

1 رواه البخارى برقم ٩٢٠ من حديث ابن عباس.

ثانياً : الغلو فى حب الأنبياء والصالحين :ـ

فأما عن الغلو فى حب الأنبياء كما حـــدث للنصـــارى حيـــن بالغوا فى حبهم لعيسى عليه السلام، فادعوا أنـــه إلـــه أو ابـــن إلـــه، أو ثالث ثلاثة، ونحو ذلك مما جاء فى كتبهم التـــى حرفوهـــا.

وما قاله الله تعالى عن اليهـــود أيضـــاً فـــى شـــأن العزيـــر، فقـــال سبحانه { وقالت اليهود عزير ابن اللـــه وقـــالت النصـــارى المســـيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضـــاهئون قـــول الذيـــن كفـــروا مـــن قبل قاتلهم الله أنـــــى يؤفكـــون } (١) وكـــذا غلـــوا فـــى أحبـــارهم ورهبانهم فاتخذوهم أربابا مـــن دون اللـــه.

وقد علمت أن أول شـــــرك وقـــع فـــى الأرض كـــان ســـببه الغلو فى الصالحين، ولذلك حذر الإسلام مـــن الغلـــو فـــى الأنبيـــاء والصـــالحين، كمـــا قـــال النبـــى " لا تطرونـــى كمـــا أطـــرت النصارى عيسى ابن مريم، إنمـــا أنـــا عبـــد، فقولـــوا : عبـــد اللـــه ورسوله ". (٢)

وحذرمـــن تعظيـــم قبـــور الأنبيـــاء والصـــالحين واتخاذهـــا مساجد، والصلاة إليها، واضاءتها وايقـــاد الســـرج عليهـــا، والبنـــاء عليها وتجصيصها والكتابـــة عليهـــا وتعليتهـــا ورفعهـــا واتخاذهـــا عيدا، وذلك حتـــى لا تكـــون هـــذه الأمـــور ذريعـــة إلـــى الشـــرك

(١) سورة التوبة : ٣٠

(٢) رواه البخارى برقم ٢٤٦٢، ٣٤٤٥

الأصغر والأكبر كما رأينا فى قوم نوح، وكمـــا هـــو مشـــاهد إلـــى اليوم، فالغلو فى قبور الصالحين يصيرهـــا أوثانـــا معبـــودة، ولهـــذا قال " اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشـــتد غضـــب اللـــه علـــى قوم اتخذوا قبـــور أنبيـــائهم مســـاجد " [1] وقـــال أيضـــاً : ﴿ ألا إن من كان قبلكم كـــانوا يتخـــذون قبـــور أنبيـــائهم مســـاجد، ألا فـــلا تتخذوا القبور مساجد، فـــإنى أنهـــاكم عـــن ذلـــك ﴾ [2] إلـــى آخـــر الأحاديث الواردة فى هذا الشـــأن.

ثالثاً : اتباع الموروثات والتقليد الأعمى :

تلك التـــى ورثهـــا الأبنـــاء عـــن الآبـــاء دون تـــردد، ودون إعمال للعقل والفكر، وإبطال ما أنعم الله عليهـــم مـــن نعمـــة العقـــل والفكر، وقد قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهـــم اتبعـــوا مـــا أنـــزل اللـــه قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لـــو كـــان آبـــاؤهم لا يعقلـــون شيئاً ولا يهتـــدون ﴾ [3]

وعلى نحو ما ذكر لنا القرآن الكريم فـــى قصـــة نبـــى اللـــه إبراهيم عليه السلام فى موقفه مع قومه فـــى مثـــل قولـــه تعـــالى : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه مـــا تعبـــدون. قـــالوا

---

[1] رواه أحمد برقم ٧٣٥٢ وابن سعد جـ٢ صـ٢٤١، ٢٤٢ وأبو يعلى جـ١ صـ٣١٢ وأبو نعيم فى الحلية جـ٦ صـ٢٨٣ وله شاهد مرسل عن عبد الرزاق جـ١ صـ١٤٠٦ وابن أبى شيبه برقم ١٤١ من حديث زيد بن أسلم، واسناده قوى.

[2] رواه مسلم.(٦٨،٦٧/٢) وأبو أعوانه فى مستخرجه (٤٠١/١) والطبرانى فى الكبير (٨٤/١)

[3] سورة البقرة : ١٧٠

نعبد أصناماً فنظل لهـــا عـــاكفين. قـــل هـــل يســـمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بـــل وجدنـــا آباءنـــا كذلـــك يفعلون ﴾ (١) وكان هذا التقليد وبـــالاً علـــى الأقـــوام يمنعهـــم مـــن التفكير الصحيح، ويحول بينهـــم وبيـــن أتبـــاع الرســـل، كمـــا قـــال تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك فـــي قريـــة مـــن نذيـــر إلا قـــال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمـــة وإنـــا علـــى آثـــارهم مقتـــدون. قال أولوجئتكم بأهدى مما وجدتـــم عليـــه آبـــاءكم قـــالوا إنـــا بمـــا أرسلتم به كافرون ﴾ (٢) وهذا الذى حـــدا بهـــم إلـــى تـــرك الحـــق واختيار الباطل، وهو سبب آخـــر.

رابعاً : إيثار العمى على الهدى :

فمن الأسباب التى أضلـــت النـــاس وأخرجتهـــم عـــن منهـــج الحق أنهم آثروا العمـــى علـــى الهـــدى، واســـتحبوا الظـــلام علـــى النور، فكان أن كافأهم الله فأصمهم وأعمـــى أبصـــارهم، بمقتضـــى نظامه فى ارتباط الأسباب بمســـبباتها، قـــال تعـــالى ﴿ ولقـــد ذرأنـــا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهـــم قلـــوب لا يفقهـــون بهـــا ولهـــم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يســـمعون بهـــا أولئـــك كالأنعـــام بل هم أضل أولئك هم الغـــافلون ﴾ (٣)

(١) سورة الشعراء : ٦٩ - ٧٤

(٢) سورة الزخرف : ٢٣ - ٢٤

(٣) سورة الأعراف : ١٧٩

فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والعرفان وعطلوهـــا عمـــا خلقــت له، فلم يصل إليها نور الحق، فقلوبهـــم غلــف لا تعقــل عــن اللــه وحيه، وعيونهم عمى لا ترى الله فـــى ملكوتـــه، وآذانهـــم صـــم لا تسمع آيات الله، فهم مثل الأنعام التى لا تنتفـــع بحواســـها الظـــاهرة والباطنة، بل أضل من الأنعام، إذ الأنعام لـــم تـــزود بمـــا زود بـــه الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية، كما أنهـــا لـــم تكلـــف بمـــا كلف به الإنسان، بل سخرت له فـــامتثلت وأطـــاعت.

خامساً : الاعتذار بالقضاء والقدر :

فقديما اعتذر المشـــركون عـــن شـــركهم بـــأنهم مجبـــورون بمشيئة الله علىشركهم، فـــأنكر اللـــه عليهـــم، وأعلمهـــم أن حجتـــه عليهم قائمة بما منحهم من عقل، وأرسل إليهم مـــــن الرســـل.

قال تعالى ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء اللـــه مـــا أشـــركنا نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىءٍ كذلـــك فعـــل الذيـــن مـــن قبلهـــم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علـــم فتخرجـــوه لنـــا إن تتبعـــون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون. قـــل فللـــه الحجـــة البالغـــة فلـــو شاء لهداكم أجمعيـــن ﴾ (١).

وما القضـــــاء والقـــدر اللـــذان ورد ذكرهمـــا فـــى القـــرآن الكريم، وجعلهما الله مرتبطين بفعل الانسان ومســـلكه فـــى الحيـــاة

---

(١) سورة الأنعام : ١٤٨ – ١٤٩

سوى النظام العام الذى خلق الله عليه الكون وربط بين الأسباب والمسببات، والنتائج والمقدمات، سنة كونية لا تختلف، وكان من تلك السنة أن خلق الإنسان حرا فى فعله، مختارا غير مقهور ولا مجبور. ولو صح ما ذهبوا إليه لبطلت التكاليف، وكان بعث الرسل وإنزال الكتب ودعوة الإنسان إلى دين الله وما يجب عليه، ووعده بالثواب لأهل الخير، والعقاب لأهل الشر، باطلا وعبثا.

ولا يتفق وحكمة الخالق الحكيم فى تصرفه وتكاليفه، الرحيم بعباده.

فالانسان له حق فى الحرية والاختيار، وفيه بواعث الخير وبواعث الشر { هل يجزون إلا ما كانوا يعملون } (١) ﴿ ونفسٍ وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها ﴾ (٢).

فالله خلق الانسان مستعدا للخير والشر، فهو يسعد نفسه بالخير أو يشقيها بالشر { وهديناه النجدين } (٣) { إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا } (٤).

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٧

(٢) سورة الشمس : ٧ – ١٠

(٣) سورة البلد : ١٠

(٤) سورة الإنسان : ٣

والإنسان بذلك يصبح صالحا بعقلـــه وعملـــه ومسـلكه فـي الحياة لدرجات القرب من الله، ولدرجات البعـد عنــه أيضــاً، ومـا كانت هداية الوحى إلا تقوية لجانب الخير فيــه، وللأخــذ بيــده مــن نزعات الطغيان والهوى إلى ما قـــدر لـــه مـــن كمـــال فـــى دنيـــاه وأخراه. (١).

سادساً : ومن أسباب انحراف الانسان، وتطرق الفساد إلى التوحيد :

الوجه الأول " التشبيه والتمثيـــل " : أى أنهـم شـبهوا اللـــه تعالى بغيره من خلقه، وذلك أن أهـــل الملـل والنِحـل مــن غـير المسلمين اتخذوا وسائل لمعرفـــة اللـــه عـــز وجـــل مـــن الصفـــات الجليلة، والصلة التى بينه وبين خلقـــه، فشـــبهوه بأجســام مختلفـــة، ومثلوا صفاته فى ضروب مـــن الصـــور والأشـــكال، فلمـا طـــالت عليهم الآمال بقيت هـــذه الصـــور الممثـل بهـــا وزال مــن قلــوب الناس اسم الله الذى لم يـــزل ولا يـــزال، فصـــارت المشـــبهة بهـــا أوثانا وأصناما وتماثيل، وطفـــق النـــاس يعبدونهـــا ويســجدون لهـــا ظنا منهم أنها مظهر من مظـــاهر صفـــات اللـــه ومشـــاهد قدرتـــه، وتفننوا فى تصور صفات الله بهـــذه التمـــاثيل المنحوتـــة والأوثـــان المصنوعة، ومن ذا الذى يشك فـــى أن اللـــه تعـــالى يحـــب عبـــاده ويرأف بهم ؟

---

١ الاسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر محمود شلتوت، والعقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق.

والأمم الآرية اتخذت تمثال المرأة للحب الإلهى فإنها عندهم مظهر الحنان والأمومة، وآلهة الغرام والحب، فعبروا عن حب الله بنوع من العبادة، وعن حنانه عليهم بحنان الأم على ولدها، فانقلب الإله عندهم أما حنونا، وجعلوا لها تمثالا يسجدون له ويعبدوه. والطوائف الأخرى من الهنادك قد أظهروا هذا الحب الإلهى لعباده، وحنانه عليهم، بما بين الحليلة وزوجها من المودة والمحبة، فاختار لفيف من الرجال زى النساء وهيئتهن وتأنثوا وتخنثوا شكلا وأخلاقا، على زعم أن يحبهم كما يحب الزوج حليلته.

وكما ظهر الإله عند الروم والاغريق فى صورة امرأة.

أما الأمم السامية فقد تمثل الإله عندها رجلا وأبا " إذ كان ذكر المرأة عندها على ملأ من الناس مخالفا للآداب السامية " وكان الأب هو رأس الأسرة وأصلها، ويدل عليه ما استخرج عن بطون الأرض فى بابل وأشور وديار الشام، من تماثيل تصور الإله بصور الرجال.

الوجه الثانى : (**أنهم جعلوا صفاته منفصلة عنه**).

ومنشأ ذلك أن اتباع الأديان الأخرى، قد فصلوا صفاته عن ذاته، وجعلوها مستقلة عنه، وبذلك تعددت الآلهة وكثرت فى جميع الفرق الهندوكية من الدين البرهمى، لأنهم اتخذوا كل صفة إلهية إلها، وجسموا تلك الصفة فى صورة، وجعلوا كل

صفة يرمز لها بإله معين، وبعد أن كان اللـــه إلهــا واحـــدا صـــار لهم ثلاثون وثلاثمائة مليون إلهـــا..

وتفصيل ذلك : أنهـــم أرادوا أن يعـــبروا عـــن قـــوة الإلـــه وقدرته، فمثلاً قالوا بأن اليدين ترمزان إلى قوة الإلـــه فنحتـــوا اللـــه (تعالى عن ذلك) بيدين قويتيـــن مـــن الحجـــر، بـــل ســـولت لهـــم أنفسهم أن ينحتوا كثيرا مــــن الأيـــدى، وحـــاولوا أن يعـــبروا عـــن حكمته فجعلوا لـــه رأســـين، واتخـــذوا لـــه وثنـــا ذو رأســـين، وإذا تتبعنا سبب كثرة آلهة الهنادك الكثيرة علمنـــا أن الســـبب هـــو أنهـــم جسموا صفات اللـــه، فـــإن صفـــات اللـــه عندهـــم ثـــلاث صفـــات عظيمات هى : " الخلق – والقيـــام علـــى المخلـــوق – والأمانـــة "، وقد جعلت فرق الهنادك هذه الصفات آلهـــة وجســـدتها، ومـــن هنـــا كان الفصل والتعـــدد.

الوجه الثالث :

نراهم يغترون بكـــثرة المظـــاهر فـــى العـــالم، وينخدعـــون بضروب مصنوعات الله، وآثـــار مقدوراتـــه، وحيـــن رأوا أن اللـــه تصدر عنه ضروب من الأعمال حسبوا أنها تصـــدر مـــن مصـــادر متعددة، وأن فاعليها كثير فحملهـــم فســـاد رأيهـــم علـــى أن جعلـــوا لكل عمل عاملا مستقلا، فـــاعتقدوا أن الـــذى يحيـــى غـــير الـــذى يميت، ومحب العباد غير مبغضهـــم، فـــاتخذوا إلهـــا للعلـــم، وإلهـــا

للثروة والرزق، وصارت الآلهة بعدد الأفعال، وأن جميـــع مـــا فـــى الدنيا ينقسم إلى قســـمين :

(١) الخير (٢) الشر، ولكل منهما إله كما فعـــل أتبـــاع زرادشـــت، وسموا إله الخير " بزدان " وإله الشـــر " أهومـــان "، واعتقـــدوا أن العالم ساحة حرب يعترك فيها هـــذان القرنـــان المتصارعـــان.."[٤]

[٤] الرسالة المحمدية، الرسالة الثامنة للأستاذ / سليمان الندوى، نقلاً عن الدكتور / نوح الغزالى.

المبحث الرابع

ضرورة الدين :

إن الدين ضرورة من ضرورات الحياة يحتاج إليه الانسان كما يحتاج إلى الهواء والماء والغذاء، وضرورة لا يستطيع أن يعيش بمعزل عنها، وما عاشت على وجه الأرض أمة ولا جماعة وكانت لها حياة إلا وكان لها دين ومعبودات، حقا كان هذا الدين وتلك المعبودات أم باطلا. وكما يقرر التاريخ البشرى أن كثيرا من الحضارات والمدن قامت بلا مصانع ولا حصون ولا قصور، ولكن لم توجد أمة أو مدينة بلا معابد أو صوامع.

وتلك شهادة التاريخ بأن الانسان يوم أن ولد، ولد ومعه حظه من الدين والتدين، وإذا كانت الحياة قد بلغت فى القرن العشرين قدرا من الرقى والتقدم، وقدمت للإنسان ما يشتهى وما يتمنى، ووفرت له حظا من الرفاهية، فقد جاءت خطواتها عرجاء شائهة مرهقة، يوم تسلحت بالعلم وتنكرت للدين.

لقد رغد العيش، وتقدمت الحياة، ولكن فقدت النفس سكينتها، والمجتمع أمنه، أمان النفس والروح، لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان.

إن ضعف الوازع الروحـــي والدينـــي والنفســـي فـــي ظــل الحضارة المادية المعاصرة لا يعنـــي اختفـــاء الديـــن، وإنمــا هــو دليل صدق وبرهان حق على عجز الحضــــارة الماديـــة المعــاصرة أن توفى بحق الإنسان وحاجته ورغبته فى حيـــاة أفضـــل.

لقد أيقظت تلك الحضــــارة فـــى الإنســـان غريـــزة الشـــهوة، فتحول إلى حيوان، كل همـــه الوصـــول إلـــى نزواتـــه، والحـــرص على شهواته، لكنها قتلت فيه الإنسان صـــاحب المشـــاعر، مرهـــف الحس والعواطف، الميال إلى الخـــير، فتحـــول إلـــى قطيـــع، همـــه اللقمة والشهوة، وصدق ربنا عز وجـــل وهـــو يلخـــص لنـــا حيـــاة الكافرين بقوله وهو أصـــدق القـــائلين { والذيـــن كفـــروا يتمتعـــون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثـــوى لهـــم } (١)

إن الابتعاد عن النور اقتراب من الظلام، ولكـــن ليـــس كـــل الناس يجافى الحق ويجانب الصواب، ويظل طـــول عمـــره يـــتردى فى الضلالة، بل يذهب الزبد جفاء ويبقى مــــا ينفـــع النـــاس، حتـــى وإن كثر الزبد، وقل ما ينفع النـــاس، فمهمـــا قـــل المحقـــون وكـــثر المبطلون { فلا يغررك تقلبهم فى البلاد } (٢) وكمـــا قـــال تعـــالى أيضاً { وما أكثر الناس ولو حرصـــت بمؤمنيـــن } (٣).

---

١ سورة محمد : ١٢

٢ سورة غافر : ٤

٣ سورة يوسف : ١٠٣

وفــى الحديــث الصحيــح { لا تــزال طائفــة مــن أمتــى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتـــى يــأتى أمــر اللــه }[1] إن السحب الداكنــة وإن كــدرت رائعــة النهــار لا تســتطيع أن تلغى وجود الشمس، وساعة مـــا تــزول الســحب، تبقــى الشــمس ساطعة مشرقة حتى يؤذن لها بـــالغروب. إن شــمس الديــن وفهــم التدين سيظلان فى ضمير الإنسان إلى نهايـــة الوجــود.

إن الانسان قد ولد متدينا بأصل فطرتـــه، يــنزع إلــى فكــرة التأليــة والعبــادة، وإن نالــه الخطــأ أو كــان حظــه الاســـــفاف والانحراف.

يقول ابن الجوزى رحمه اللــه : إن القــرون الأولــى دانــت بدين الله حتى وسوست لهم الشياطين، فعبـــدوا مـــانحتوا وخضعــوا لما صنعوا وانحرفت بهم الأهواء، وســـقطت همتهــم مــن الســماء إلى الأرض فانتحلوا النحلة وتركــوا الملــة.

ومن قال إن الانسان ولد بلا دين كـــلام مرفــوض.

كذلك من علل ظهور الديـــن فـــى حيـــاة الانســان بشـــعوره بالضعف والخوف والقلق أمام مظاهر الطبيعـــة، فخــاف أن يضـــن عليه النافع بمنفعته، أو يصيبه الضـــار بضــره، ويــوم أن يســتطيع الانسان أن ينزع من نفسه نوازع الخـــوف والضعــف اســتطاع أن يعيش بغير دين.

---

[1] رواه مسلم فى صحيحه (٣/٦٥٢٣) والبخارى بنحوه برقم (٣١١٦)

ويكون على هـــذا أن الديـــن بضاعـــة الأغبيـــاء والضعفـــاء والمرضى، مع أن الواقع يشـــهد بغـــير هـــذا، فمـــا يجـــد الانســـان راحته النفسية وأمنه الروحى إلا فى ظـــل الديـــن والتديـــن { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنـــون. الذيـــن آمنـــوا وكـــانوا يتقون. لهم البشـــرى فـــى الحيـــاة الدنيـــا وفـــى الآخـــرة لا تبديـــل لكلمات الله، ذلك هو الفـــوز العظيـــم } (١)

وقال تعالى : { إن الانسان خلـــق هلوعـــا. إذا مســـه الشـــر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا. إلا المصليـــن. الذيـــن هـــم علـــى صلاتهم دائمـــون... } (٢)

وإن ما يشهده العـــالم اليـــوم فـــى ظـــل الحضـــارة والتقـــدم والرقى والرفاهية على حســـاب راحتـــه النفســـية والروحيـــة ممـــا أصاب العالم كله بسعار لا نهاية له ولا راحـــة معـــه لخـــير دليـــل على أن الدين فطرة النفس البشرية لا تســـعد إلا فـــى ظلـــه ويـــوم تستظل بغيره تفقد الأمن والأمـــان والاســـتقرار.

إن تلـــك الحضـــارة يـــوم أســـقطت الديـــن مـــن حســـاباتها وانصرفت إلى نزواتها أيقظت فـــى الإنســـان شـــقه، وقتلـــت فيـــه الشق الآخر، أيقظت فيه شق الحيـــوان فتحـــول إلـــى قطيـــع همـــه اللقمة والشهوة والمصلحة حتـــى اتخمـــت البطـــون، وقتلـــت فيـــه

(١) سورة يونس : ٦٢ – ٦٤

(٢) سورة المعارج : ١٩ – ٢٣

الإنسان ففقد المجتمع أمنه واستقامته فصار من النـــاس مــن ســكن الأجداث، وهم أحياء يتقبلون بيــن الأتــراح والأفــراح، وهــم فــى لعبهم ولهوهم غافلون، حتى يأذن الله تعالى لهــم باليقظــة والإفاقــة { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مـــا بأنفســهم } ([1]).

لقد ولد الإنسان متدينـــا، ولــم يكــن التديــن نتيجــة تطــور وارتقاء، ولم يكــن نتيجــة خرافــات أو أســاطير، أو مــن صنــع الدهاة والكهان، ولا من صنــع الســحرة أو الأقويــاء، ولا يســتطيع الإنسان أن يعيش بغير ديـــن.

ومن رضى الحياة بغير دين فقد رضى الفناء لها قرينا
ولا حياة لمن لم يحيى دينا

إن الله سبحانه وتعالى خلــق الإنســان وجعلــه خليفــة فــى الأرض واستعمره فيها، وجعله سيداً وسخر له مـــا فــى الســموات وما فى الأرض جميعاً منه، من أجل أن يكــون عبــداً لــه وحــده، أينما ولى فثم وجه الله، فيسبح بحمــده ويقدســه، ويعبــده ويمجــده، كما قال سبحانه { وما خلقت الجــن والإنــس إلا ليعبــدون } ([2]).

تلك هـــى الغايــة الكــبرى والحكمــة الأولــى مــن خلــق الإنسان، وهو الذى يحتاج إلى هذه العبادة، مــع أنهــا لا تزيــد فــى

---

[1] سورة الرعد : ١١

[2] سورة الذاريات : ٥٦

ملك الله ولا تنقصه، ولا تضره سبحانه أو تنفعـــه، ولكنهـا علامـة الصدق ورمز الوفاء { ليبلوكم أيكم أحســـن عمـــلاً } (١).

والإنسان من غير هذا التوجـه الكريـم إلـى خـالق الكـون ومدبره، ضعيف فى هذا الكون، وحيـد فـى هـذا الوجـود، لأنـه يكون مبتوت الصلة بالكون وما فيـه، فتتولـد فـى نفسـه الهواجس وتحيط به الظنون، يخشى أن تتخطفـه الطـير أو تهـوى به الريح فى مكان ســحيق.

لذلك فهو يحتاج إلى إيمـان يمـلأ قلبـه، ويربطـه بـالكون مخلوقاً، وبإله الكون خالقـاً، حتـى يعلـم الإنسـان سـبب وجـوده ومصيره المحتوم بعد رحلة الحياة، وكذلك حتى يعلـم الإنسـان مـا علاقته بالكون، وما هى الصلة بينه وبين غـيره مـن المخلوقـات.

كل ما فى الكون قد خلق للإنسان، أمـا الإنسـان نفسـه فقـد خلق لله جل جلاله، لمعرفته وعبادتـه، وأداء أمانتـه فـى الأرض، وكفى بهذا شرفاً وفخراً، فهو سيد فى الكون، عبـد لخالقـه وحـده.

إن الدين ضرورة فى حياة الإنسان من أجـل معرفـة غايـة الوجود الإنسانى، فبالدين يعرف الإنسان لوجـوده غايـة، ويعـرف لمسيرته وجهه، ويعرف لحياته رسـالة، وبهـذا يحـس أن لحياتـه قيمة ومعنى، ولعيشه طعماً ومذاقاً، وأنـه ليـس ذرة تافهـة تائهـة فى الفضاء، ولا مخلوقاً سـائباً يخبـط خبـط عشـواء فـى ليلـة

١ سورة هود : ٧

ظلماء، كالذين جحدوا اللـــه أو شـــكوا فيـــه، فلـــم يعرفـــوا : لمـــاذا وجدوا ؟ ولماذا يعيشون ؟ ولمـــاذا يموتـــون ؟

كلا، إنه لا يعيش فى عماية، ولا يمشــــى إلـــى غـــير غايـــة، بل يسير على هدى من ربه، وبينة من أمـــــره، واســـتبانة لمصـــيره بعد أن عرف الله وأقر له بالوحدانيـــــة.

لبست ثوب العيش لم أستشر وحرت فيه بيـــن شـــتى الفكـــر

وسوف انضو الثوب عنى، ولم أدر : لماذا جئـــت ؟ أيـــن المفـــر ؟

أو ما قاله الآخر : جئت لا أعلم من أين ولكنــــى اتيـــت.

كلا.. فقد اتضحـــت وجهتـــه الربانيـــة، وعـــرف مـــن أيـــن جاء، ولم جاء، وإلى من فراره، وأيـــن قـــراره إنـــه -عـــن طريـــق التدين- يهتدى الإنسان إلى فطرته التى فطـــره اللـــه عليهـــا، والتـــى تطلب الايمان باللـــــه تعـــالى ولا يعوضهـــا شـــىء غـــيره، يقـــول تعالى: { فأقم وجهك للدين حنيفا فطـــــرة اللـــه التـــى فطـــر النـــاس عليها لا تبديل لخلق اللـــــه } (١)

واهتداء الانسان إلى فطرته ليس كســـبا رخيصـــا، بـــل هـــو كسب كبير وغنى عظيم، فيه يعيش المرء فـــى ســـلام ووئـــام مـــع نفسه، ومع فطرة الوجود الكبير من حولـــــه، فـــالكون كلـــه ربـــانى

١- سورة : ٣٠

الوجهة يسبح بحمد الله { وان من شـــىء الا يســـبح بحمـــده } (١١).

والحقيقة أن فى فطرة الإنســـــان فراغـــا لا يملـــؤه علـــم ولا ثقافة ولا فلسفة، وانما يملئه الايمـــان باللـــه جـــل وعـــلا. وســـتظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجـــوع والظمـــأ حتـــى تجـــد اللـــه وتؤمن به وتتوجه اليه. هناك تســـتريح مـــن تعـــب وترتـــوى مـــن ظمأ، وتأمن مـــن خـــوف ، هنـــاك تحـــس بالهدايـــة بعـــد الحـــيرة والاستقرار بعد التخبط، والاطمئنان بعد القلـــق، ووجـــدان المـــنزل والأهل بعد طول الغربة، والضرب فـــى أرض التيـــه.

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينـــا بالإيـــاب المســـافر

فاذا لم يجد الانســـان ربـــه وهـــو أقـــرب اليـــه مـــن حبـــل الوريد، فما أشقى حياته وما أتعس حظه، ومـــا أخيـــب ســـعيه، إنـــه لن يجد السعادة ولن يجد السكينة، ولن يجد الحقيقة، بـــل لـــن يجـــد نفسه ذاتها ﴿ كالذين نسوا الله فأنســـاهم أنفســـهم ﴾ (٢)

إن الانسان خلـــق عجيـــب جمـــع بيـــن قبضـــة مـــن طيـــن الأرض ونفخة من روح الله، فمن عـــرف جـــانب الطيـــن، ونســـى نفخة الروح لم يعرف حقيقة الانســـــان.

ومن أعطى الجزء الطينى فيـــه غـــذاءه وريـــه ممـــا انبتـــت الأرض، ولم يعط الجانب الروحى غـــذاءه مـــن الإيمـــان ومعرفـــة

[1] سورة الاسراء : ٤٤

[2] سورة الحشر : ١٩

الله، فقد بخس الفطرة الإنسانية حقهـــا، وجهـل قدرهـا، وحرمهـا ما بها حياتها وقوامهـــا.

قال ابن القيم رحمه اللـــه : فـــى القلـب شـعث لا يلمـه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشـــة لا يزيلهـا إلاالأنـس باللــه، وفيــه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصـــدق معاملتــه، وفيــه قلــق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليـــه، وفيــه نـيران حسـرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضاءه، ومعانقـــة الصــبر علـــى ذلك إلى وقــــت لقــاءه، وفيــه فاقــة لا يســدها إلا محبتــه والإنابة اليه ودوام ذكــره وصـــدق الإخــلاص لــه، ولـو أُعطـى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقـــة أبـــدا).

إنها الفطرة البشرية الأصيلة التى لا تجـــد سـكينتها إلا فـــى الاهتداء إلى الله والإيمان به، والالتجاء اليـــه، إنهـا الفطـــرة التـــى لم يملك مشركو العرب فى جاهليتهم أن ينكروهـــا مكـــابرة وعنـــادا { ولئن ســـألتهم مـــن خلـــق الســموات والأرض وســـخر الشـــمس والقمر ليقولن اللـــه } (١)

وقد يتراكم علـــى هـــذه الفطـــرة صـــدأ الشـبهات أو غبـــار الشهوات، وقد تنحرف وتتدنس باتبـــاع الظـــن واتبـــاع الهـــوى، او التقليـــد الجـــاهل للأجـــداد والأبـــاء، أو الطاعـــة العميـــاء للســـادة

١- سورة العنكبوت : ٦١

والكبراء، وقد يصاب الإنسان بداء الغرور والعجـــب فيظـــن نفســـه شيئا يقوم وحده، ويستغنى عن اللــــه.

بيد أن هذه الفطرة تذبـــل ولا تمـــوت، وتكمـــن ولا تـــزول، فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة وكوارثها مـــالا قبـــل لـــه بـــه، ولا يد له ولا للناس فـــى دفعـــه ولا رفعـــه، فســـرعان مـــا تـــزول القشرة الســـطحية المضللـــة، وتـــبرز الفطـــرة العميقـــة الكامنـــة، وينطلق الصوت المخنوق المحبوس، داعيا ربـــه منيبـــا إليـــه كمـــا قال تعالى : { وإذا مســـكم الضـــر فـــى البحـــر ضـــل مـــن تدعون إلا إيـــاه } (٢)

هذه الفطرة حقيقة أجمع عليها البـــاحثون فـــى تـــاريخ الأمـــم والأديان والحضارات، فقد وجـــدوا الإنســـان منـــذ أقـــدم العصـــور يتدين ويتعبد ويؤمن بإلـــه.

وعلى ذلك فحاجة الانسان إلى الديـــن هـــو احتيـــاج – فـــى أصله – يدور حول هذه المعانى السامية، ويســـير فـــى فلـــك هـــذه الغايات النبيلة، كحاجة الإنسان إلـــى الكرامـــة، والعـــزة، أو حاجتـــه إلى الســـعادة والأمـــل أو احتياجـــه إلـــى الطمأنينـــة والهـــدوء، أو حاجته الى الرشد والهـــدى.

والإنســـان – أى إنســـان – ســـواء مـــن كـــان فـــى قمـــة الحضارة أو من كان فـــى حضيـــض التـــأخر: الانســـانى البدائـــى، وإنسان – عـــالم الـــذرة والكمبيوتـــر، وإنســـان الباديـــة، وإنســـان

المدينة، إنســـان الحضـــر وإنســـان الصحـــراء، الإنســـان الغربـــى والشرقى على كلٍ ســـواء يبحثـــون عـــن هـــذه المعـــانى النفســـية، وينادون جميعا لاســـتكمال هـــذا البنيـــان الداخلـــى، وذلـــك الكمـــال النفسى، فكلٌ فى حاجة إليه والكل مفتقـــر إليـــه، وإن الديـــن وحـــده - الذى صاحب البشرية منذ طفولتهـــا ولـــم يفارقهـــا فـــى صباهـــا وشبابها وكهولتها، ولم يزل ســـلطانه مهيمنـــا عليهـــا - هـــو الـــذى يحل لغز الوجود ويفسر سر الحياة والمـــوت وغـــير ذلـــك.

المبحث الخامس

التوحيد فطرة وعقل

إن سـلامة العقـل توجـب احـترام الحقـائق وادراك الواقــع، والوقوف بالظنون عنــد حدودهــا ورفــض الأوهــام وعــدم الإيمــان بالخرافات، والإنسان بفطرته التى خلقــه اللــه عليهــا يــدرك وحدانيــة الإله، مثلما هو يدرك بفطرتــه أن العــدل جميــل، والظلــم قبيــح، وأن العلم مفخرة، والجهل معرة، قال تعالى : ﴿ فأقم وجهــك للديــن حنيفــا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديــل لخلــق اللــه ﴾ (١). فالنــاس كما خلقهم الله، يولدون على فطرتهم، فهــم مســتعدون لهــا، مؤثــرون لمنهجها، يتدافعون فــى مجراهــا تدافــع المــاء إلــى منحــدره، لكــن العوائق المصطنعة هى التــى تقطــع عليهــم طريقهــم وتردهــم عــن وجهتهم، يقول الله تعالى فى حديثه القدســى : ﴿ إنــى خلقــت عبــادى كلهم حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عــن دينهــم، وحرمــت عليهــم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لــم أنــزل بــه ســلطانا ﴾(٢). وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى بعــض تلــك العوائــق بقولــه : ﴿ مــا مــن مولــود إلا يولــد علــى الفطــرة، فــأبواه يهودانــه أو ينصرانه أو يمجســانه(٣).

---

١ سورة الروم : ٣٠

٢ سبق تخريجه

٣ رواه البخارى ، كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا يعملون جـــ٢ ص ٢١١ ومســلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، جـ ٢ ص ٢٥٨

فالإسلام نـــادى – فـــى دعوتـــه الخـــالدة – إلـــى التوحيـــد، ووضع القضية أمام العقل المجرد فى بســـــاطة ووضـــوح، وبـــدون أى تعقيد أو غموض، ثم يدعوه إلى التفكـــــير فـــى هـــدوء وتبصـــر بدون ميل أو هوى حتى يصل إلى عقيدة التوحيد التـــــى تشـــهد بهـــا آيات الخلق وظواهر الكون، والتى بينهـــا القـــرآن الكريـــم ويجليهـــا للناس فى منطق واضح وأسلوب رائـــــع وشـــرح مبـــدع باســـتحالة وجود أكثر من إله واحد فى الكون، ذلـــــك أن التعـــدد بيـــن الآلهـــة يقود إلى التناحر والتنازع بينها، وإلى انحيـــاز كـــل إلـــه إلـــى مـــا خلق بما يؤدى إلى اضطراب نظام الخلق واختـــــلال نواميـــس هـــذا الكون، بل إلى انهيار الوجود ودماره، قـــال تعـــالى : ﴿ لـــو كـــان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[1]. ﴿ قـــل لـــو كـــان معـــه آلهـــة كمـــا يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش ســـبيلا ﴾ [2]. ﴿ مـــا اتخـــذ اللـــه من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إلـــــه بمـــا خلـــق ولعـــلا بعضهم على بعـــض ﴾ [3].

انه – كما هو معـــــروف فـــى التـــاريخ – أن الانســـان قـــد يتمرد على الله، أو يكفر بالله الواحد، ويعبـــد ســـواه ممـــا يخترعـــه هواه، وما حدثنا التاريخ ابدا – ولو مـــــرة – أن إنســـانا لـــم يتديـــن حقا أو باطلا ولم يستغن عن الديـــــن علـــى طـــول التـــاريخ، وقـــد

---

[1] – سورة الأنبياء : ٢٢

[2] – سورة الاسراء : ٤٢

٣– سورة المؤمنون : ٩١

استغنى عن العلم وعن الحضـــارة وعـــن المـــال وعـــن الصحـــة. الخ.

كما لا يستغنى عن الطعام ولا عن الماء، وهـــل يـــدل أكلـــه للطعام الفاسد أو الضار على بطلان الحاجـــة إلـــى الأكـــل، وهـــل يدل شرابه للماء الملوث علـــى بطـــلان حاجتـــه للرى، كذلـــك لا يدل التدين الفاسد على بطـــلان الديـــن، وصـــدق اللـــه إذ يقـــول : { لا تبديل لخلق اللـــه } (١).

وأما فكر الغـــرب أو الجاهليـــة بـــأن تديـــن الإنســـان نشـــأ لجهلـــه بمظـــاهر الطبيعـــة مـــن حولـــه وضعفـــه أمـــام كوارثهـــا وأحداثها. وظنوا أنهم عرفوا ما جهله الأوائل، ونســـفوا الديـــن مـــن الجذور، وأتوا عليه من الأساس، وقارنوا بيـــن الأديـــان ليبطلوهـــا، ونســـوا ربمـــا متعمديـــن أن يقـــارنوا الإنســـان بزملائـــه مـــن الحيوانات، فهو عندهم حيوان كيف تدين ولـــم يتدينـــوا ؟

أليست ظـــاهرة تســـتحق الإهتمـــام، وهـــل الإنســـان وحـــده الضعيف أمام الطبيعة وغيره مـــن أنـــواع الحيـــوان قـــوى، وهـــل الإنسان وحده الجاهل بحقـــائق الطبيعـــة وغـــيره مـــن الحيوانـــات أعلم منه، وهل هم كفروا لأنهم صاروا أقوى مـــن الطبيعـــة وأعلـــم بخباياها أم ماذا ؟

---

(١) سورة الروم : ٣٠

لا جواب على هذه التساؤلات إلا جواب واحد يرضاه العقل والدين معاً، هو أن الإنسان فطر على التدين، فتدين، ولم يخلق الحيوانات له فبعدت عنه، والحق أنه لا تبديل لخلق الله. وهو ما جعل الإنسان من بين مخلوقات الأرض والسماء في حفلة العرض يحمل الأمانة دون غيره ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾(1) ؛ فالإنسان في منطق الجاهلية الحديثة تدين لأنه ضعيف وجاهل !!

وعلى القياس.. الحمار بمقتضى الجاهلية الحديثة لم يتدين لأنه عالم وقوى ! عالم بأسرار الطبيعة فلم تدهشه، وقوى أمام مظاهرها فلم تروعه، ويوم أن يتحرر الإنسان ويصبح حماراً أو قرداً أو ما شاء له من الحيوانات يكون قد تحرر من الجهل والضعف !!! (2).

---

(1) سورة الأحزاب : ٧٢

(2) التفسير الإسلامي للجاهلية د / نوح الغزالي

المبحث السادس

أقدمية الدين

يقول الله سبحانه وتعـــالى : ﴿ وإذا أخـــذ ربـــك مـــن بنـــى آدم مـــن ظهورهم ذريتهم وأشهدتهم على أنفسهم ألســت بربكــم قـــالوا بلـــى شـــهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنمـــا أشـــرك آباؤنـــا مـــن قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعـــل المبطلـــون ﴾ (١)

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره : يخبر تعـــالى أنـــه اســـتخرج ذريـــة آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهـــم ومليكهـــم، وأنـــه لا إلـــه إلا هو، كما أنه تعال فطرهم على ذلك وجبلهـــم عليـــه قـــال تعـــالى : ﴿ فـــأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليهـــا لا تبديـــل لخلـــق اللـــه ذلك الدين القيم ولكن أكثر النـــاس لا يعلمـــون (٢)﴾

وفى الصحيحين عن أبـــى هريـــرة رضـــى اللـــه عنـــه قـــال : قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ كل مولود يولـــد علـــى الفطـــرة — وفى رواية : على هذه الملة — فأبوه يهودانـــه ينصرانـــه أو يمجســـانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها مـــن جدعـــاء (٣)﴾

---

١ – سورة الأعراف : ١٧٢ — ١٧٣

٢ – سورة الروم : ٣٠

٣ – رواه البخارى : كتاب القبر باب : الله أعلم بما كانوا عاملين ص ٧ : ص ٣١١

البحث السادس

أقدمية الدين

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ (١).

يقول الإمام ابن كثير من تفسيره : يخبر تعالى أنه استخرج ذرية آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٢).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة - وفى رواية : على هذه الملة - فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"(٣). وفى صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣

(٢) سورة الروم : ٣٠

(٣) - رواه البخارى : كتاب القدر، باب : الله اعلم بما كانوا عاملين جـ٢ صـ٢١١ ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة جـ٢ صـ٢٥٨.

رسول الله ﷺ يقول الله تعالى : إنى خلقت عبادى حنفـــاء فجــاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم " (١)

والمراد من القول أن ما فطر عليه الإنسان هو التوحيـــد، وأن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على بنى آدم قبل خلقهم وهم فى عـــالم الذر، فى صلب آدم على الخضوع له وتوحيده فأقروا له بذلك، فيكون الدين قديماً قبل إيجاد الإنسان فى الحياة.

هذا وإن دعوى استغناء الإنسان عن الدين دعوى باطلة يكذبها الواقع ويبطلها تاريخ البشرية الطويل، إذ واقع البشرية شاهد على أن الإنسان حيثما كان وفى أى ظروف وجد، وعلـــى اختـــلاف أحوالـــه وتباين ظروفه لا يخلو عن من يدين له أبداً، وسواء كان الدين حقاً أو باطلاً، صحيحاً أو فاسداً، حتى أولئك الذين يدعون اليوم أن العلم قـــد أغنى عن العقيدة والتدين، وأن الإنسان فى عصـــره الـــذرة وغـــزو الفضاء لم يصبح فى حاجة إلى الإيمان باللـــه، وبـــالغوا فـــى الكفـــر والإنكار. فهل يستطيع الإنسان بعقله مهما بلغ من ذكاء ورجاحـــة أن يستغنى عن الدين، أو أن الدين يستغنى عن العقل ؟

إننا إذا نظرنا سنجد تلازماً وثيقاً بين العقل والديـــن، إذ لابـــد للدين من عقل يتحمله، لأن مدار التكليف عليه، وأيضاً لابد للعقل من الدين يرشده ويوضح له الطريق ويجيب على ما يـــدور بخلـــده مـــن

(١) رواه مسلم فى صحيحه ٥٩/٨، وأحمد ١٦٢/٤، والبغوى ٢٥١/١ وابن عساكر فى التاريخ ٣٢٨/١٥

أسئلة، لأننا سنجد الإنسان، هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ مـــا هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ مـــا المـــوت ؟ مـــا القانون الذى يجب أن يقود عقولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الدنيا ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شىء بعـــد هـــذه الحيـــاة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟

هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لهـــا حلولاً جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، ثابتة أو متحولة.

فالوحى له وظيفة، والعقل له وظيفة، فوظيفة الوحى هو البحث فى ما وراء المادة، أما وظيفة العقل فهو البحث فى المادة.

فالعقل والوحى لا يستغنيان عن بعضهما، ولكل منهما مجالـــه الخاص به يكمل فيه الآخر، فهناك مسائل الغيب، ومسائل التشـــريع، ومسائل الخير والفضيلة، فلو ترك الناس وعقولهم فى هـــذه المســـائل فإنهم يتقاتلون ويتنازعون، فعقول الناس رسل لهم من داخلهم، ورسل الله عقول لهم من خارجهم، وهذا يوضح لنا مبلغ التآخى بين العقـــل والدين، وأنهما يجريان فى اتجاه واحد.

هذا. والعقل من أشد أعوان الدين على عقيدة التوحيد، والنقـــل من أقوى أركانه، وكلاهما ينسجم مع الآخر ولا يتعارضان، لأنهما من مصدر واحد.. فإن وقع اختلاف دل على أن الوحـــى حـــرف أو أن العقل ضل الصراط المستقيم الذى رسمه الوحى الإلهى، والذى أســـاء

استخدام العقل هو الإنسان نفسه، وتحريف الكتاب المـــنزل بتخريـــج نصوصه، تخريجاً يبعده عن هدفه تحت التأثر بعوامـــل شـــخصية أو بمذهب معين، عمل يحول بين الانسجام بينهما.

فالعقل مثلاً لا يتفق مع الدين إذا قال الدين بالتثليث، أو جمـــع بين طبيعة الإنسان وطبيعة الإله، كما زعمته النصارى فى عيسى ابن مريم عليه السلام.

وكل هذا يرد على من قال بأن الإنســـان هـــو صـــانع الديـــن ومبتدعه، وأن الأجيال الأولى عاشت ردحاً طويلا من الزمن بلا دين، حتى إذا تطورت وترقت عن البداوة اخترعت الدين، أو من يعللـــون ظهور الدين فى حياة الإنسان فى ضعفة وخوفه وقلقه، ولذلـــك فـــإن الإنسان إذا قدر على قهر نوازع الخوف فى نفسه استطاع أن يســـقط الدين من حسابه، وينطلق من إساره وتبعاته، مع أن الواقع يشهد بـــأن الإنسان كلما ازداد تعميقاً فى دينه زكت نفسه واطمأن قلبه وانشـــرح صدره وعظمت سكينته.

إنه من المؤكد أنه ما ظلت فترة فى الزمن بدون دين، ودعوى استغناء الإنسان عن العقيدة دعوى باطلة، وأن دعوى العقل فى إمكانه الاستقلال بهداية الإنسان إلى ما يصلحه ويسعده دعوى باطلة وساقطة أيضاً ولا وزن لها ولا واقع، وأن دعوى الاكتفاء بالعلم عن الوحـــى الإلهى من الشرائع الإلهية الصحيحة من التحريف والزيادة والنقـــص والتبديل كالدين الإسلامى، دعوى باطلة قطعاً.

إن فكرة التدين فى جوهرها ليس لها دليل واحد فى أنها تأخرت عن نشأة الإنسان.

أبعد هذا يجوز أن يقال بأن البشرية عاشت قروناً متطاولة فى حياة مادية خالصة، أو القول بأن فكرة التأليه إنمـــا اخترعهـــا دهـــاة ماكرون من الكهنة، والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم مـــن الحمقـــى والسفهاء، أو يصح القول بأن الانسان هو الذى وضع تلـــك القوانيـــن واحتكم إليها، هذه النظرة الساخرة إلى الأديان والقوانين ليست مبتكرة إنما هى ترديد لصدى مجون قديم كان يتفكر به أهل السفســـطة مـــن اليونان، فقد زعم هؤلاء السوفسطائيون أن الانسان كان فى أول نشأته يعيش بغير رادع من قانون، ولا وازع من خلق، وأنه كان لا يخضع إلا إلى القوة الباطشة[1].

وأخيراً نقول : بأن الانسان دائماً فى حاجة إلى الإيمان والتدين والعقيدة، وأن الدين ضرورة من ضروريات حياتـــه، وحاجـــة مـــن حاجات نفسه، فلا غنى له عن الإيمان بربه، وعن عبادته بحال مـــن الأحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهـــد الإنسان بالحياة، من عقيدة ودين، ومصداقاً لذلك يقول الحـــق تبـــارك وتعالى : { وإن من أمة إلا خلا فيها نذير } [2]

---

(١) – انظر : عقدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى ص ١٩–٣١ بتصرف ، وحقيقة الإيمان د / عمـــر عبدالعزيز ص ٨ – ١٢ بتصرف

(٢) – سورة فاطر : ٢٤

المبحث السابع

أول نبى وأول رسول

ومن اليقين المؤكد أن البشرية بدأت ومعها التوحيـــد المطلـــق والتنزيه الكامل لله رب العالمين، والذى يقرره القرآن الكريم والســـنة النبوية المطهرة أن آدم أبا البشرية كان نبياً موحداً على أنقى صـــور التوحيد، وقد اصطفاه ربه فقال : { إن الله اصطفى آدم ونوحاً..}(١) واجتباه أيضاً فقال : { ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى } (٢)

وأنه عرف حقيقة التوحيد كاملة، وعرف طبيعة العلاقـــة بيـــن الخالق والمخلوق، وذلك باعترافه بخطأه، وتوبته إلى ربه، إذ أكل من الشجرة ناسياً، فسارع بقوله – مع زوجه – : { قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } (٣) وهذا اعـــتراف فيه رجوع وإنابة وتذلل وخضوع للواحد الديان، الذى خلقه من تراب ثم نفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة، والذى لا شـــك فيـــه أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض مسلماً لله متبعاً لهداه، وأن اللـــه أخـــذ عليه العهد هو وزوجته أن يتبعا ما يأتيهما من هدى، وأن يبتعدا عـــن خطوات الشيطان، إذ هو لهما عدو مبين، قال تعالى : { فإما يـــأتينكم

(١) – سورة آل عمران : ٣٣

(٢) – سورة طه : ١٢٢

(٣) – سورة الأعراف : ٢٣

منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى، ومن أعـــرض عـن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى.. ﴾ (١)

فقام آدم عليه السلام بنقل ما تلقاه من ربه إلى بنيه، وتعريفهـم بإسلامه وعقيدته، وتلقى بنوه هذه التعاليم بالقبول، حتى عندمـا وقـع الخلاف بينهم أى أو بين " هابيل وقابيل " رأينا أثـــر هــذه التعـاليم واضحة كما قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بـالحق إذ قربـا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليـك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين.. ﴾ (٢)

وظلت تعاليم التوحيد فى أبناء آدم وأحفاده، وتوارثوها جيلاً بعد جيل، وظلت أجيال عدة بعد آدم ٧عليه السلام لا تعرف إلا توحيد الله عقيدة، مع إسلام الوجه لله تعالى، دينا.(٣)

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " كان بين آدم ونـوح عشرة قرون، كلهم على شريعة الحق، فاختلفوا فبعـث اللـه النبيين مبشرين ومنذرين"(٤)

والقرن قد يراد به المدة وهى مائة سنة، وقد يراد به الجيـل مـن الناس، أو المدة المتطاولة من الزمن، كما فى قوله تعالى : { وكم أهلكنـا من القرون من بعد نوح } (٥) : { وكم أهلكنا قبلهم من قرن }(٦)

(١) - سورة طه : ١٢٣ - ١٢٤ ٤- صحيح رواه ابن جدير فى تفسيره ٢٧٥/٤ ط شاكر والحاكم ٥٤٦/٢

(٢) - سورة المائدة : ٢٧ - ٢٨ ٥- سورة الاسراء آية : ١٧

(٣) دراسات فى الأديان القديمة ص ١٩-٢١ بتصرف ٦- سورة مريم آية : ٧٤ ، ٩٨

﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ﴾ (1)، ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ (2) فالتوحيد أصل فى البشرية به بدأت وعليه نشـــأت، وأمـــا الشرك والانحراف ــ فهو شىء طارئ عليها، ولا عجب فقد أخذ الله العهد والميثاق على ذرية آدم منذ بدأهم وهم لا يزالون فى عالم الـــذر قائلا : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى شهدناً ﴾ (3) أخرج ابن جرير وغيره باسناده عن ابن عباس قال : مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نســـمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى... " (4)

وذكر الإمام أحمد عن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم : " يقال الرجل من أهل النار يوم القيامة : لو كان لك ما علـــى الأرض من شىء أكنت مفتديا به، قال : فيقول : نعم، فيقول : الله قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك فـــى ظهـــر آدم ألا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك بى " (5)

فأول الأنبياء الجد ألأكبر للأسرة الانسانية هو آدم عليه السلام وقد سبق الدليل على نبوته من القرآن بإصفاء الله له واجتبائه إيـــاه، وإضافة إلى ذلك ما صرح به القرآن من مخاطبة الله عز وجل له بلا واسطة فقال له : (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم..) (6) وهذا الخطاب

1- سورة المؤمنون : ٤٢
2- سورة الفرقان : ٣٨
3- سورة الأعراف : ١٧٢
4- رواه البخارى كتاب حديث الأنبياء، باب وإذ قال ربك للملائكة برقم ٣٣٣٤ وكتاب

أحد أنواع الوحى كما قال سبحانه وتعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنـــه مـــا يشاء) ( )

وفى السنة ما يشير إلى هذا أيضا أو يصرح به كما فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنـــه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا ســـيد ولـــد آدم يـــوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض..( )

وفى الحديث – وإن كان فى سنده كلام – روى الإمام أحمـــد عن أبى ذر رضى الله عنه : قلت : يا رسول الله : أى الأنبياء كـــان أول ؟ قال : آدم، قلت : أو نبى كان ؟ قال : نعم، نبى مكلـــم، قـــال : قلت يا رسول الله ؟ كم المرسلون ؟ قال : ثلثمائة وبضع عشر، جمـــا غفيرا، وقال مرة: خمسة عشر، قلت يا رسول الله، آدم نبى، قـــال : نعم نبى مكلم.(٣)

وإذا كان آدم عليه السلام هو أول الأنبياء، فـــإن نوحـــا عليـــه السلام هو أول الرسل دل على ذلك قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده..)(٤) وكما جاء فى أحاديث الشفاعة فى الصحيحين، وفيها ((فيأتون نوحا عليه السلام فيقول يا نـــوح أنت

(١) سورة الشورى : ٥١

(٢) رواه البخارى كتاب التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح برقم ٤٧١٢ ، ٣٣٤٠ ومســـلم كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم ١٩٤

(٣) رواه الإمام أحمد بسند ضعيف (٤) سورة النساء: ١٦٣

أول رسل الله إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا..)) [١]
وقد علم أن هناك فارقا بين النبى والرسول لقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا اذا تمنى..) [٢] وهذا العطف يقتضى المغايرة، وإن كان بينهما اشتراك فى مهمة التبشير والإنذار

وقد قيل فى الفارق بين النبى والرسول : أن النبى من أوحـــى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى إليه بشـــرع وأمـــر بتبليغه، وهذا لا نطمئن إليه.

وقال الألوسى : الرسول من أوحى اليه بشرع جديد، والنبـــى هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. فالرسول هو الذى يـــأتى بشـــرع جديد أو بأحكام وتشريعات مفصلة.

والنبى هو الذى لم يأت بشرع جديد، وإنما بنى على شرع من سبقه، أو جاء بدعوة مجملة تدعو إلى أصول الإيمان باللـــه تعـــالى، وقواعد الخلق الزكى، وليس من اللازم أن تحوى شـــرائع وأحكامـــا جديدة

أو أن النبى من أمره الله أن يدعو الى شريعة ســـابقة دون أن ينزل عليه كتابا أو يوحى إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ.

وأما الرسول فهو من بعثه الله إلى قوم وأنزل عليه كتابا أو لم ينزل عليه كتابا ، لكن أوحى إليه بحكم لم يكن فى شريعته من قبلـــه، وعلى هذا فكل رسول نبى – وليس العكس وهذا هو الراجح.

---

(١) رواه البخارى ومسلم (٢) سورة الحج : ٥٢

الفصل الثالث :

وقفة حول نشأة العقيدة الإلهية

نقصد بنشأة العقيدة: الصورة التى ظهر فيها الديـــن أول مـــا ظهر، أى الأولية التاريخية المطلقة التى لا تتقيد بزمن معين منـــذ أن دبت قدما الانسان على ذلك الكوكب.

ولتقرير هذه البداية نجد أن العلماء ينقســـمون إلـــى قســـمين متعاكسين :

وقبل أن نعرض هذين الرأيين علينا أن نفـــرق بيـــن أمريـــن، وهما:

أ- فطرية التدين.

ب- فطرية التوحيد

أما فطرية التدين فقد اتفق علماء الأديان إلا من شذ منهم على أن التدين أمر فطرى فى الإنسان مركوز فيه أى أن الخضوع والتذلل والخوف من كائن أعلى موجود فى النفس ومحاولة إرضاء هذا الكائن والتذلل له أمر غريزى يلبى نداء الفطرة وكذا الاحساس الفطرى على الحياة الآخرة، وأنها دار الجزاء لما قدم الانسان من أعمـــال كمـــا أن الانسان مدنى بطبعه فلا يستطيع أن يعيش بمعزل عن بنى جنسه، بل لا بد من التعاون مع الجماعة.

وأما عن موضوع هذا التدين أى المعبود الذى تعلق بـــه هـــذا التدين، هل تعلق أول ما تعلق بالإله الواحد الموجد لهذا الكـــون ؟ أم تعلقت هذه الغريزة بآلهة شتى، الطبيعة ومـــا حوتـــه مـــن جمـــادات وحيوانات وأرواح ؟ ثم تطورت إلى أن وصلت للإله الواحد.

لقد ذكرت أن العلماء فى هذه المسألة لهم رأيان هما :

الرأى الأول (المذهب التقدمى أو التصاعدى) :

ويتزعمه فريق من علماء الأديان والمقارنـــة، ومـــن علمـــاء الاجتماع الدينى أمثال، سبنسر وفرويد، ودور كايم وغيرهم من علماء الغرب مسيحيين ويهود، وتبعهم قليل من المسلمين مثل " العقاد" فـــى كتابه " الله " وطه الهامشى فى كتابه " تاريخ الأديان وفلسفتها ".. يرى هذا الفريق أن التدين بدأ بالخرافة والأوهام، ثم انتقـــل إلـــى الوثنيـــة والشرك، وأخذ الإنسان يتطور فى دينه وعقيدته على مدى الأجيـــال حتى وصل إلى التوحيد.

والتوحيد – فى نظرهم – هو آخر مرحلة فى التصور والتدرج وأن الاعتراف بالإله الواحد مسبوق بعباده الشمس، يقـــول العقـــاد : ترقى الإنسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعـــات، فكـــانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعتـــه، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديـــان والعبـــادات،

وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى [1]

فيرى أصحاب هذا الرأى أن عقيدة التوحيد ظهــرت متــأخرة بالقياس إلى ظهور الوثنية والشرك. ظهرت – عقيدة التوحيد – بعــد أن توسعت مدارك الإنسان فشعر أن ما كان يتصوره من وجود قوى روحانية عليا في الأشياء التي عبدها لم تكن سوى وهم وخداع وصار يقتصد في الشرك إلى أن وصل إلى التوحيد.

وهم يعتبرون أن اخناتون أقدم الموحدين، لأنه دعا إلى عبـــادة الشمس وحدها دون بقية المعبودات عند المصريين.

ثم يتحدثون عن التوحيد كآخر طور من أطوار العقيــدة، كمــا جاء في الإسلام.

وقد كتب العقاد كتابا عن نشأة العقيدة اسماه " اللـــه " تفجــؤك مقدمته بهذه العبارة : (موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية منــذ أن اتخذ الانسان ربا إلى أن عرف الله الواحد واهتدى إلـــى نزاهــة التوحيد)

ثم قال : " الرجوع إلى أصول الأديان في عصـــور الجاهليــة الأولى لا يدل على بطلان التدين ولا على أنها تبحث عن محال وكل ما يدل عليه أن الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس تامة شاملة في عصر واحد، وأن الناس يستعدون لعرفانها عصرا بعــد عصــر،

---

[1] – الله – للعقاد ص ٥ مطابع الأهرام التجارية

وطورا بعد طور، وأسلوبا بعد أسلوب، كما يستعدون لعرفان الحقائق الصغرى على نحو أصعب وأعجب من استعدادهم لعرفان هذه الحقائق التى يحيط بها العقل ويتناولها الحس والعيان "

واستدلوا على رأيهم بما يلى :

١. أن الانسان أخذ يتطور حضاريا واجتماعيا من سكنى الكهوف وأغوار الجبال إلى السكنى فى البيوت المتخذة من الوبر والشعر ثم البيوت المصنوعة من الطين ثم القصور الضخمة ومتع الحياة. الخ.

فإذا كان كذلك فلا بد وأن يكون الانسان قد تطور فى العقيدة كذلك من عبادة الطبيعة والأرواح والإله الواحد.

٢. وجود بعض القبائل المتخلفة فى استراليا ووسط أفريقيا وبعض سكان أفريقيا وبعض سكان أمريكا ما زالوا يعبدون الأصنام والأوثان وهم مع ذلك متخلفون اجتماعيا، فهناك ارتباط بين هذا التخلف الاجتماعى وبين العقائد الدينية الباطلة المبنية على الأوهام والأساطير.

٣. كما يستدلون بالقرآن الكريم، وهو ما ورد فى سورة الأنعام فى قصة إبراهيم عليه السلام فى الآيات (٧٥ - ٧٨) ذلك أنهم يستنتجون من هذه الآيات أن إبراهيم قد تدرج فى عقيدته وتدينه من الإيمان بالكواكب المتعددة إلى الإيمان بالقمر ثم الشمس وهى أكبر ما تقع عليه العين،

ثم انتهى إلى عقيدة التوحيد ونفى الشرك.

الرد عليهم :

١. أما عن الدليل الأول : وهو تطور العقيدة تابع للتطور الاجتماعى والحضارى، فهذه شبهة واهية ذلك أنه قياس مع الفـــارق، فـــالتقدم الحضارى والاجتماعى والصناعى تقدم فى الأمور المادية، والدين لا يتعلق بالأمور المادية وإنما يتعلق بالأمور الروحيـــــة المعنويــــة التجريدية، تلك الأمور المتعلقة بالنفس والروح، فالجامع بين المقيس عليه معدوم فيبطل هذا القياس.

بالإضافة لأن التطور تطورت فيه الأمور من الأشياء البسيطة إلى المعقدة المركبة، وليست الأديان كذلك

٢. أما عن الدليل الثانى : الذى يفيد أن هناك ارتباطا بيـــن التخلـــف الاجتماعى والعقائد الباطلة فهى شبهة واهية كذلك، فليـــس هنـــاك ارتباط بين الحضارة والمدنية وبين التدين والعبادة، فـــالهند مثـــلا بلغت شأنا بعيدا فى الحضارة والمدنية، ولا زال أغلب سكانها إلى الآن يعبدون الأبقار.

وروسيا والصين بلغا مبلغا عظيما من الرقى الحضارى والاكتشاف التكنولوجى ومع ذلك فجمهور السكان لا يؤمنون بالله ولا يعترفون بوجود الخالق.

إذن فليس هناك جامع مشترك فى الارتباط بين التخلف والأساطير الخرافية.

٣.أما عن الدليل الثالث : وهو الفهم الخاطئ للآيات (٧٥ – ٧٨) من سورة الأنعام، فهو أوهى من سابقيه وأبسط من أن يرد عليـــه، إذ ليس المقصود من الآيات كما يذهب العقاد والهاشمى وغيرهما من المستشرقين أن إبراهيم عليه السلام – وهو النبى المعصوم – كان شاكا فى عقيدته، وتطور من عبادة الكواكب إلى التوحيـــد، وإنمـــا وجد إبراهيم عليه السلام بين قوم يعبدون هذه الأشياء ويقدســـونها، فأراد أن يقيم الأدلة الحسية على بطلانها بطريقـــة التـــدرج إلـــى الإيمان، وبأسلوب المجاراة الذى يوهم الخصم بأنه معه فيما يعتقـــد بشرط مسبق، وهو أن الإله الذى يجب الايمان به، فإنه إذا ظهر لا يأفل ولا يغيب، فلم يتحقق هذا الشرط فى شىء من آلهتهـــم التـــى يعبدونها، فتوجه بهم – بعد ذلك – إلى الإيمان الحق بالخالق المبدع لهذا الكون، بعد أن أبطل عقيدة الإيمان بالكواكب والقمر والشمس، لأنها أشياء تغيب وتزول، ولا يصح للإله أن يغيب أو يزول.

فإبراهيم لم يكن ينظر ويبحث ليصل إلى التوحيد وإنمـــا كـــان مناظرا، وفرق بين النظر والمناظرة، وتلك حجة اللـــه علـــى لســـان إبراهيم.

والحق – والحق يقال – أن عقيدة التوحيد كـــانت منـــذ منشـــأ الانسان، إلى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، فهى البداية والخاتمة.

ونصوص القرآن الكريم تؤكد بما لا يـــدع مقالـــة لقـــائل أن البشرية صاحبتها عقيدة التوحيد من أول خطوة دبت بها علـــى وجـــه الأرض.

وما يقوله علماء مقارنة الأديان الغربيون هذا يؤدى إلى انكـــار الوحى والنبوة حيث اعتبر ظهور العقائد الدينية وتطورهـــا مجهـــودا بشريا نتيجة الارتقاء العقلى والثقافى، فأين إذن هدى الله الذى تـــنزل على آدم عليه السلام.

والحق أن آدم هو الذى عَرَّف بنيه بربهـــم ســـبحانه وتعـــالى، وبالإسلام، ثم توالى موكب الإيمان بعد ذلك يتعهد البشرية أولا بـــأول ويعيدها إلى ربها إذا ضلت طريقه، أو أخطأت هداه، فكان نوح عليـــه السلام الذى جدد الدعوة إلى التوحيد وأعاد إليه نقاءه وصفاءه، وحاول جاهدا بكل ما يملك من طاقة النبى المرسل أن يخـــرج النـــاس ممـــا انتكسوا فيه من ضلال وكفران، وكانت النتيجة أن أنجى اللـــه نوحـــا ومن آمن معه، وأغرق من عداهم من عبدة الأصنام والأوثـــان، ثـــم استمر موكب الهداية يتجدد حينا بعد آخر حتى جاء خـــاتمهم محمـــد صلى الله عليه وسلم، فبنى على نهج إخوانه فى الدعوة، وأكمل اللـــه به الدين، وأتم النعمة.

فالعقائد لا شأن لها بالتطور، والدين بدأ وحيا من عنـــد اللـــه، يدعو إلى التوحيد منذ بدء الحياة، وإذا كان انحراف حدث عن أصـــل التوحيد فى تاريخ البشرية فذلك على حين فترة من الرسل. وكل الذى

يمكن أن يقال هنا أنه إن كان حدث تطور أو اختلاف بين الرســـالات فإنما ذلك فى الشرائع والأحكام التى قد تناسب أمة ولا تناسب أخـــرى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (١) أما القواعد فهى واحدة وإنمـــا تختلف الأحكام والفروع رحمة وشفقة بالأمم، فالصلاة مثلا والصيـــام كانا فى الأمم السابقة لكن طريقة الأداء وكيفيته قد تختلف من أمة إلى أخرى. وإن بلغ ذلك كله حد الكمال والتمـــام فـــى خاتمـــة الشـــرائع والرسالات التى هيمنت على السابق ونسخت ما لا يتفـــق والتطـــور الانسانى.

(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)(٢) وكذا يقال فى الرد على مذهب التطـــور فى الأديان.

لقد كان مقتضى الوضع السليم فى تعرف ما كانت عليه بدايـــة الأديان فيها قبل التاريخ أن يسترشد فى مقارنتها - لا بســـير الفنـــون والصناعات، بل - بسير الديانات المعروفة منذ طفولة التـــاريخ إلـــى اليوم، وإننا لنعرف بالاستقراء أن كل واحدة من هذه الديانات بـــدأت بعقيدة التوحيد النقية، ثم خالطتها الشوائب والأباطيل على طول العهد، فالأشبه أن تكون هذه سنة التطور فى الديانات كلها. وهى أن تكـــون بدايتها خيرا من نهايتها(٣).

---

(١) سورة المائدة : ٤٨ (٢) سورة البقرة: ١٠٦

(٣) مقارنة الأديان أ.د/ عوض الله حجازى ص ٥٣ ، والدين د/ دراز ص ١١٤-١١٩ بتصرف

ويشهد لذلك القول : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "(١)، ومن هنا فإن الكتب السماوية تتفق على أن الجماعة الأولى لم تـــترك وشأنها تستلهم غرائزها وحدها بغير مرشد ومذكر، بل تعهدتها السماء بنور الوحى من أول يوم، فكان أبو البشر آدم عليه الســلام هــو أول الأفذاذ المخلصين، وأول المؤمنيـــن الموحديـــن، وأول المتضرعيــن الأوابين.

وأما الرأى الثانى والذى يقول به علماء المسلمين وبـــالأخص جمهور أهل السنة، والعقلاء من علماء أوربا هو أن عقيـــدة التوحيـــد فطرية فى النفس البشرية، وأن الانسان الأول عرف الإلــــه الواحـــد الأحد، وآمن به منذ البداية، وأن الشـــرك والوثنيـــة أمـــور طارئـــة وعارضة وانحراف طرأ على العقيدة، وممن يؤيد هذا الـــرأى مـــن الغرب : لانج وبروكلمان وشريدر وشميدث وغيرهم.

والأدلة على ذلك :

١ – **قوله تعالى** : (كان الناس أمة واحدة فبعث اللــه النبييــن مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين النـــاس فيمـــا اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينـــات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللـــه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) (٢)

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سورة البقرة : ٢١٣

وقوله تعالى : (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) (١)

يقول أ.د / نوح الغزالى : إنه الإعجاز القرآنى دون شك يلخص قصة الإنسانية فى أية واحدة فى نشأتها الأولى على الإيمان الحق، وفيما طرأ عليها من أهواء البشر ونزغات الشيطان، وهو تلخيص فى نفس الآية لكل مراحل الانسانية وهى تتكرر فيها العودة إلى الفطرة الأصيلة عن طريق نبى يتفضل المولى سبحانه وتعالى بإرساله ثم تنتكس لتعيد الجاهلية الأولى بصورة أو بأخرى حتى كانت النبوة الخاتمة (فهدى الله الذى آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) والترف العقلى فقط هو الذى حدا بقلة من المفسرين أن يذهبوا إلى أن الآية لم تقرر علام كانوا ؟ أعلى الإيمان أو على الكفر أمة واحدة ؟ حتى إذا ما طولبوا بالدليل عجزوا عنه.

والنص القرآنى السابق يؤكد أن الناس كانوا أمة واحدة على الإيمان فى أول نشأة الانسان، وأن الكفر هو الذى طرأ عليه، فبعث الله تعالى له النبيين.

ويؤكد الرازى والقفال هذا بأدلة :

الأول : (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) فهذا يدل على أن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا حين الاختلاف، ويؤكد ذلك قراءة ابن مسعود (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين) فالفاء فى

(١) سورة يونس: ١٩

قوله فبعث تدل على الترتيب السببى، وتقتضى أن يكون بعثهـــم بعـــد الاختلاف، ولو كانوا قبل ذلك أمة واحدة على الكفر لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف أولى، لأنهم بعثوا عندما كان بعضهم محقا وبعضهم مبطلا، فلأن يبعثوا عندما يكونون كلهم مصرين على الكفر فهذا أولى.

الثانى : أن الله تعالى حكم بأن الناس (كان الناس أمة واحدة) ثم درجنا فيه (فاختلفوا) بحسب دلالة الدليل، وقـــراءة ابـــن مســـعود، والظاهر أنه الاتفاق والحاصل المشار إليه بقوله (كان النـــاس أمـــة واحدة) كان قبل الاختلاف الذى حدث بسبب العداوة والبغى والحسد.

الثالث : آدم عليه السلام لما بعثه الله رســـولا لأولاده، الكـــل كانوا مسلمين مطيعين لله، ولم يحدث الاختـــلاف إلا بســـبب البغـــى والحسد عندما قتل قابيل هابيل كما هو ثابت بقوله تعـــالى : (واتـــل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق)(١) هذا الصراع الذى انتهى إلـــى جريمـــة القتل، إنهما كانا يتنافسان على القربى إلى الله تعالى ويغمط أحدهمـــا أخاه لأنه تقبل من أخيه دونما يتقبل منه.. وهنا ينتهز الشـــيطان تلـــك الفرصة وقعد لابن آدم بكل طريق فدفعه إلى الحسد والحقـــد عليـــه.. حتى إذا ما سولت له نفسه قتل أخيه لم يعرف كيف يقتله ويتخلص منه فتمثل له إبليس يضرب بالحجر رجلا فقلده، ولم يعرف كيـــف يدفنـــه فعلمه الغراب دفن الموتى، فالحوار بين الأخوين يدل على معرفتهمـــا بالله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقيـــن) (إنـــى أخـــاف اللـــه رب العالمين) (فتكون من أصحاب النار) (١)

(١) سورة المائدة : ٢٧ ومابعدها

الرابع : إنه لما غرقت الأرض بالطوفان ولم يبـــق إلا أهـــل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح، ثم اختلفوا بعد ذلـــك، يقول ابن عباس رضى الله عنهما : " كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين "

الخامس : " كل مولود يولد على الفطرة، فـــأبواه يهودانـــه أو ينصرانه أو يمجسانه " والحديث يدل على أن المولود لو ترك لفطرته الأصيلة لما كان على شيء من الأديان الباطلة، وإنمـــا يقـــدم علـــى الأديان الباطلة لأسباب خارجة كسعى الوالدين.

الســـادس : أن الله تعالى لما قال : (ألست بربكم ؟ قالوا بلى) فذلك اليوم كانوا أمة واحدة على الدين الحق. ومـــن هنـــا يتبيـــن أن الاعتراف بالواحدانية لله تعالى كان أمرا مقررا ومعترفا به لدى الناس جميعا منذ خلقهم الله تعالى، أما الشرك والوثنية والبعد عـــن العقيـــدة السليمة فأمر عرض للإنسانية بعد ذلك.

السابع : أن المقصود بآية البقرة ويونس بيان كون الكفر باطلا وتزييف طريق عبادة الأصنام، وتقرير أن الإسلام هو الدين الفاضل، فوجب أن يكون المراد من قوله : (كان الناس..) هو أنهم كانوا أمة واحدة، إما فى الكفر وإما فى الإسلام، ولا يجوز أن يقال كانوا أمـــة واحدة فى الكفر، فبقى أنهم كانوا أمة واحدة فى الإسلام.

الثامن : قوله تعالى : (ولقد بعثنا فى كـــل أمـــة رســـولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [1] فالآية صريحة الدلالة على أن الله

(١) سورة النحل: ٢٦

تعالى بعث فى كل أمة وفى كل جماعة رسولا يأمرهم بعبادة الخـــالق سبحانه وتعالى وهى عقيدة التوحيد.

التاسع : قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) (١)

العاشر : قوله تعالى فى الحديث القدسى : " إنى خلقت عبادى حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم "(٢) والمعنى أن الله تعـــالى خلـــق عباده يدينون بالتوحيد، فجاءتهم الشياطين وحولتهم عن التوحيد إلـــى الشرك والوثنية (٣)

---

(١) سورة الروم: ٣٠

(٢) سبق تخريجه

(٣) مقارنة الأديان ص ٤٦-٤٨ بتصرف

الفصل الرابع :

نبذة تاريخية عن أهم الرسالات السماوية قبل الإسلام

المبحث الأول :اليهودية

معنى اليهودية :

الهود : التوبة، هاد يهود هودا، وتهود : تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد، وفى التنزيل العزيز : (إنا هدنا إليك) [1] أى تبنـــا إليـــك، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم.

وقال ابن سيده : عداه بإلى، لأن فيه رجعنا، وقيل معناه تبنـــا إليك ورجعنا وقربنا من المغفرة.

والتهود : التوبة والعمل الصالح، قال ابن الأعرابى : هـــاد إذا رجع من خير إلى شر، أو من شر إلى خير، وهاد إذا عقل، ويهود : اسم للقبيلة، وقيل : إنما اسم هذه القبيلة يهود، فعرف بقلب الذال دالا، وقال ابن سيده، وليس هذا بقوى، وقالوا: (اليهود) فـــأدخلوا الألـــف واللام فيها على إرادة النسب، يريدون اليهوديـــن، وقولـــه تعـــالى : (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفـــر) [2] معنـــاه دخلـــوا فـــى اليهودية، وقال الفراء فى قوله تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [3] قال : يريد يهودا، فحذف اليـــاء الزائـــدة ورجع إلى الفعل من اليهودية، وفى قراءة أبـــىّ (إلا من كان يهوديـــا

أو نصرانيا) قال : قد يجوز أن يجعل هودا جمعا، واحدها هائد مثـــل حائل وعائط من النوم، والجمع : حول وعوط.

وجمع اليهودى : يهود، كما يقال فى المجوسى مجوس، وفـــى العجمى والعربى : عجم وعرب.

وهود الرجل : حوله إلى ملة يهـــود، والتهـــود : أن يصـــير الإنسان يهوديا، وهاد وتهود إذا صار يهوديا، واليهود هم قوم موسى عليه السلام، جاءهم برسالته، وأنزل فيهم التوراة من عند الله تعالى، وذلك قبل ميلاد عيسى عليه السلام بثلاثة عشر قرنا تقريبا.

ويذكر العلماء أسماء معدودة لقوم موسى هؤلاء :

فهم يعرفون بالعبريين أو العبرانيين " نسبة إلى " عابر بن سام " أكبر أبناء نوح عليه السلام، أو إلى جنس بشرى، يسمى " عـــابيرو" ومنه اشتق الاسم، أو ربما كان نسبة إلى حادثة " العبور " من مصـــر إلى الشام، أو الانتقال من مكان لآخر باعتبارهم من الأمم البدوية التى دأبت على الرحلة، وبهذا كانوا يعبرون الأماكن وينتقلون فى البـــوادى فارتبط بهم الاسم الذى يدل على ذلك.

وعلى الجملة فكل هذه العلل واردة وممكنة، وليس بالمســـتطاع إلغاء بعضها أو إثباته على وجه القطع، والشىء الذى يمكن القطع به هو أن من الممكن إطلاق اسم " العبريين والعبرانيين " على اليهـــود، وأن هذه التسمية من أقدم ما عرفوا بها.

ومن أسماء هؤلاء الأقوام " اليهود " سبب هذه التسمية _ كمـــا يرى بعض العلماء – يرجع إلى نسبة القوم إلى أحد أبنـــاء " يعقــوب عليه السلام " وهو " يهوذا " أكبر أبنائه وأحبهم إليه، وهو غير مســلم به، لأنهم من نسل " لاوى" لا من نسل " يهوذا " فكيف ينسبون إلـــى غير أبيهم ؟

وقد ظهرت هذه التسمية بعد " موسى عليه الســـــلام " فكيــف نرجعها إلى عصور ما قبل موسى عليه السلام.

ولعل الراجح فى هذه التسمية أنها بسبب توبتهم مع موسى عليه السلام، لأن هذه التسمية عرفت مع أيام موسى عليه الســـلام، ومــن الأسماء التى اشتهر بها القوم " بنو إسرائيل "

وكلمة " إسرائيل " مركبة من جزئين " اسرا " ومعناها " عبد " و " ائيل " معناها " الله " فمعنى الكلمة " عبد اللـــه " والمـــراد بـــه " يعقوب " عليه السلام حفيد إبراهيم، وابن اسحاق عليهم السلام، فقـــد جاء فى التوراة : وظهر الله ليعقوب فباركه، وقال له : اسمك يعقوب لا يكون من بعد اسمك يعقوب بل إســـرائيل يكــون اســمك، فســماه إسرائيل.

وعلى هذا تكون تسمية يعقوب بإسرائيل من قِبَل الله تعـــالى، وهى حقيقة مسلمة، لأن الإنسان عبد الله منذ خلقه، سمى بذلك أم لـــم يسم.

ومن الأسماء التى عرف بها القوم حديثا : الصهيونية .

وليس لهذه التسمية أصل قديم، وإنما أخذت لتدل على مفهـــوم معين، لأنها تفيد لغويا الصيانة والتحصن، وهذا طبع اليهـــود قديمـــا وحديثا، فإنهم يعيشون وراء حصون تصونهم من أعدائهم، وقد ســـمى أحد التلال المحيطة بالقدس القديمة باسم " جبل صهيون " رمزا مـــن اليهود إلى الحصن، ودعوة إلى تحقيق فكرة عودة اليهود إلى فلسطين لإقامة دولة تجمع شملهم، ومن أجل انجاح هذه الفكرة قامت الحركـــة الصهيونية ونشطت فى الدعوى لأهدافها.

ومما يذكرر أن الصهاينة هم غلاة اليهود فى العالم كله، لذلـــك فإن اسم الصهيونية من ألأسماء الخاصة التى تسمى بها البعـــض دون البعض الآخر.

مع هذه المسميات :

اشتهر بنو إسرائيل بالأسماء التى أشرت إليهـــا، إلا أن أحبهـــا إليهم " بنو إسرائيل " لأنه يذكرهم بمنزلتهم التى يتمنونها لأنفسهم عند الله تعالى، ولذلك نجدهم يسمون دولتهم الحديثة بهذا الاسم المحبـــب إليهم، والقرآن الكريم حينما يريد مخاطبتهم بالهداية ودعوتهـــم إلـــى الحق يناديهم بهذا الاسم المحبب، وكأنه يريد أن يقول لهم : أنتم أولاد الأنبياء ونسل الرسل، وجدير بكم بمقتضى هذه الصفـــة أن تســـتقيموا على الجادة، وأن تتبعوا الطريق المستقيم، ولا تحيدوا عنه، وأن تكونوا أول المؤمنين.

وحينما يريد القرآن الكريم الإشارة إلى كفرهم وجحودهم يذكر اسم اليهود.

ويرتبط اسم الصهيونية بالفكر العنصرى المتزمت الذى يدعـــو إلى الاغتصاب والاستيلاء على حقوق الغير، كما أن اسم العـــبرانيين يذكرهم بعنصر الضعف والبداوة، ولذا كره الإسرائيليون أن يشتهروا بهذين الاسمين.

واليهود أمة منعزلة عن سائر الأمم، تكره الاختلاط بغيرهـــا، فهم عاشروا المصريين ومع ذلك لم يأتلفوا معهم، حتى جاءهم موسى عليه السلام وأخرجهم من مصر، برغم أنهم سادوا أيام يوسف عليـــه السلام، وكان يمكنهم أن يمتزجوا مع أبناء الشعب بصـــورة كاملـــة، وعلى مر العصور لازمتهم جبلتهم، فلقد عاشوا فى بلدان عديدة مـــددا طويلة ومع ذلك خرجوا منها مطرودين بالكراهية والمقت[١].

واليهود، دائما وأبدا – لهم سجية منحرفة، فهم بطبيعتهم يحبون الانحراف عن الحق والميل عنه، بل يحنون إلى الوثنية واتخاذ آلهـــة من دون الله، ولقد كان ذلك منهم حتى فى أيام موسى عليه الســـلام، حين اتخذوا آلهة من دون الله، مرتين : فى المرة الأولـــى : بعـــد أن اجتاز بهم البحر وأنجاهم الله من فرعون وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما ألهة قـــال إنكـــم قـــوم تجهلون) [٢]

---

(١) دراسات فى الأديان "اليهودية" د/ أحمد غلوش ص ٩-١٥ بتصرف.

(٢) سورة الأعراف :١٣٢

وأما المرة الثانية التى ارتدوا فيها إلى الوثنية بالفعل وعبـــدوا العجل، فحين ذهب موسى لميقات ربه، فقد أضلهم السامرى وصنـــع لهم عجلا فعكفوا يعبدونه ولم يلتفتوا إلى تحذير هارون لهم وأصـــروا على عبادته، لأن طبيعتهم المادية قد غلبت عليهم، وقد ذكـــر القـــرآن الكريم قصة اتخاذهم العجل فى موضعين " فـــى ســـورة الأعـــراف وسورة طه " فهذا هو حال بنى إسرائيل حتى فى أيام موســـى عليـــه السلام كلما طهر عقيدتهم من الشرك والوثنية عادوا فارتكسوا فيهما، وقد دعاهم موسى عليه السلام إلى التوحيد الخالص : (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما) (٢)

كما حرفوا التوراة على حسب أهوائهم، ولقد وصفـــوا الإلـــه العظيم بما لا يليق به سبحانه وتعالى، ونسبوا إليه الضعـــف والغلـــة والغيرة والحقد والكذب والجهل والخديعة والتجسيم والتناسل، تعـــالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وهذه أمثلة من الصورة المحرفـــة فـــى كتبهم المحرفة، ففى سفر التكوين فى قصة آدم : " إن الله نهـــى أدم وحواء أن يأكلا من شجرة المعرفة ذاكرا لهما أن الأكل منها يـــؤدى إلى الموت، مع أن الأكل منها يوصل إلى المعرفـــة ورقـــى الفكـــر وانحسار الجهل، وإنما فعل ذلك لأنه يريد أن يبقى عليهمـــا جـــاهلين حتى لا يشاركانه فى واحدة من أخص صفاته وهى المعرفـــة ولكـــن الشيطان سول لحواء أن تأكل من الشـــجرة وجاراهـــا آدم فعرفـــا أن سوأتيهما مكشوفتان ولما أحسا بقدوم الإله نحوهما اختبئا حتى لا

سورة طه : ٩٨

يبصرهما، إلى أن قالوا: فلو أكلا منها لصارت لهما أرقى صفات الإله وهى البقاء "

فهكذا يصفون الإله فى سفرهم هذا بالخوف والتضليل وســـتر الحقيقة عن آدم وحواء حتى لا يكتسبا المعرفة والخلود فينتازعانه فى خصائصه، ولذلك غضب عليهما وأخرجهما من الجنة.

فهل يتصور عاقل أن يكون هذا وحى أنزله الله على نبى مـــن أنبيائه ؟ !! إنه خيال اليهود المريض، وطبيعتهم المادية منذ خلقوا، أين هذا الكفر البواح من الحق الصراح ؟

ثم نسبوا للأنبياء عليهم السلام أبشع التهم، ولقـــد شـــقوا نبيـــا بالمنشار كما يشق الخشب، ولقد وصفوا أنفسهم بأنهم أبناء الله وشعبه المختار، وأنهم أفضل العالمين ووصفوا الحق تبارك وتعالى أنه فقير، وأن يد الله مغلولة.. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

هذا ولم نرد سرد أفعال اليهود وقبائحهم، ومـــا يفعلونـــه فـــى دينهم، ولكن أردنا أن نلقى بعض الضوء على هذه الديانة، هل تصلح أن تكون ديانة لشعب خاصة أو لأمة عامة ؟!

المصادر المقدسة لدى اليهود :

١- العهد القديم ٢- التلمود ٣- بروتو كولات حكماء صهيون

أولا : العهد القديم :

وهو على أربعة أقسام : القسم الأول : كتـــب موســـى عليـــه السلام، أو الأسفار الخمسة وهى " التكوين – الخـــروج – التثنيـــة – اللاويين – العدد "

القسم الثانى : من العهد القديم : ويسمى بالأســـفار التاريخيـــة وهى اثنا عشر سفرا، وتعرض لتاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين فى فلسطين.

القسم الثالث : يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى، وعدده خمسة أسفار.

القسم الرابع : يسمى أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفرا، يعرض كل منهما لتاريخ أنبياء بنى إسرائيل الذى أرسلوا إليهـــم بعـــد موسى وهارون عليهما السلام.

ثانيا : التلمود :

ويحتل التلمود المكان الأسمى كأحد مصادر العقائد والأفكـــار عند اليهود، وقد يفضلونه عن التـــوراة نفســـها، أو العهـــد القديـــم، ويتخذونه، " دستور العمل " بهدف السيطرة على البشـــرية واحتـــواء الأديان والأمم.

والتلمود فى تعريف جامع هو : " الأحـــاديث الشـــفوية التـــى سجلت بعد التوراة، والتى كانت ثمرة النظر ودراسة الأســـفار التـــى

جاءت عن يهوه ويسمى متن التلمود " المشنا" وله شرحان أو جمارتان " جمارة أورشليم، وجمارة بابل "

فالتلمود إذن عبارة عن أقوال رهبان وحاخامات اليهـــود فـــى التوراة وتفسيراتهم لها، ومع ذلك فإن ما فيه يعده اليهود أمرا ملزمـــا وحكما حازما، ولذلك قالوا : اعلم أن أقوال الحاخامات هى أفضل من أقوال الأنبياء.

إن من يقرأ التوراة بدون " التلمود " فليـــس لـــه الجنـــة " " إن مخافة الحاخامات هى مخافة الله "

" إن تعاليم الحاخامات لا يمكن تغييرها ولا نقضها ولو بـــأمر الله "

وصدق الله العظيم إذ يقول : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) (١)

ثالثا : بروتوكولات حكماء صهيون : وبروتوكولات.حكمـــاء صهيون إذا أردنا تعريفها فإن الأقرب إلى الصواب وصفهـــا بأنهـــا " مجموعة من المبادئ الأساسية الاستراتيجية، ولا يمكن تغيرها بحال، وقد وضعت لتنفيذها العملى، وكان لهذه البروتوكولات دورها الفعـــال فى الحركات السياسية، التى قامت فى كثير من بلاد العـــالم، وكذلـــك تبدو الصلات واضحة بين بعض نصوصها، ومحتويات التلمود، ومما ورد فيها، : " أننا مختارون من الله لنحكم الأرض ". " يجب علينا أن نحطم عقائد الأميين "

---

(١) سورة التوبة : ٣١

" إن الأميين كقطيع من الغنم وإننا الذئاب "

وظاهر من هذه النصوص الصهيونية النعرة اليهودية، وضلالة شعب الله المختار، والعلاقة بين الصهيونية والتلمود والبروتوكولات[١]

[١] - الإسلام والأديان د/ مصطفى حلمي ص ١٣٦ - ١٦٦ بتصرف ، تعصب اليهود د/عمر عبد العزيز

المبحث الثانى

المسيحية

معنى المسيحية :

نسبة إلى المسيح عليه السلام، والمسيح : الصديق، وبه سـمى عيسى عليه السلام

قال الأزهرى : وروى عن أبى الهيثم : أن المسيح الصديــق، قال أبو بكر : واللغويون لا يعرفون هذا . قال : ولعــل هــذا كــان يستعمل فى بعض الأزمان، فدرس فيما درس من الكلام، قال الكسائى : وقد درس من كلام العرب كثير : قال ابن سيده : والمسيح عيســى ابن مريم صلى الله على نبينا وعليه السلام قيل : سمى بذلك لصدقة، وقيل : سمى به لأنه كان سائحا فى الأرض لا يستقر، وقيل : ســمى بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بــإذن الله، أو لأنه مسح بالبركة.

وقال أبو العباس : سمى مسيحا لأنه كان يمســح الأرض أى يقطعها، وقيل : سمى مسيحا لأنه كان أمسح الرجــل ليــس لرجلــه أخمص، وقيل : سمى مسيحا لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن.

قال الله تعالى : (إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح) [١] قال أبو منصور: سمى الله ابتداء أمره كلمة لأنه ألقى إليها الكلمة، ثم كون

١- سورة آل عمران : ٤٥

الكلمة بشرا، ومعنى الكلمة بمعنى الولد، والمعنى : يبشرك بولد اسمه المسيح.

وهذا خلاف المسيح الدجال الذى سمى بذلك لأنه عينه ممسوحة عن أن يبصر بها.

وهما ضدان : مسيح الهداية " عيسى "، ومســـــيح الضلالـــة " الدجال "

فالمسيحيون : هم أتباع المسيح عليه السلام،[١] بل قل: هم عبدة المسيح عليه السلام.

والنصرانية هو الاسم القديم لأتباع عيسى عليه السلام، ويرجع سبب التسمية لهذا الاسم ما ذكره القرآن الكريم عنهـــم، (كمـــا قـــال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله)[٢]

وهو على غير القياس – لغة أو نسبة إلى قرية " الناصرة "

وقد أطلق القرآن عليهم هذه التسمية (.. وقالت النصارى المسيح ابن الله) [٣]

أما المسيحية فاسم حديث بالنسبة لهم، لكنه محبب إلى قلوبهم.

ومن الأسماء التى عرف بها القوم حديثـــا " الصليبيـــة " وقـــد ارتبط بهم هذا الاسم لعبادتهم الصليب وتقديسهم لــــه، وكذلـــك بعـــد حروبهم التى أطلقوا عليها اسم الحروب الصليبية ورفعوا فيها الصليب يقاتلون دونه ومن ورائه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور .

(٢) سورة الصف : ١٤

(٣) سورة التوبة : ٣٠

فالنصارى أمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السـلام، وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام، المبشر به فى التوراة، وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة مثل : إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، كما أن نفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك بخلقه من غير نطفة سابقة، ونطقه من غير تعليم سالف.

وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة، وقد أوحى إليه إبلاغا عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، أوأكثر، فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه، وإنما اختلافهم يعود إلى أمرين:

أحدهما : كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسيد الكلمة.

والثانى : كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة.

أما الأول فقضوا بتجسيد الكلمة، ولهم فى كيفية الاتحاد والتجسد كلام، فمنهم من قال أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال انطبع فيه انطباع النقش فى الشمعة، ومنهم من قال ظهر به ظهور الروحانى بالجسمانى، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء.

وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة، قالوا البارى تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والحجمية فهو واحد بالجوهرية، ثلاثة

بالأقنومية، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلـــم. والأب والابن والروح القدس.

وقالوا فى الصعود إنه قتل وصلب، قتله اليهود حســـدا وبغيــا وإنكارا لنبوته ودرجته، ولكن القتل ما ورد على الجـــزء اللاهوتـــى، وإنما ورد على الجزء الناسوتى.

قالوا : وكمال الشخص الانسانى فى ثلاثة أشياء : نبوه وإمامه وملك، وقد وصف الأنبياء بهذه الخصال الثلاث أو ببعضهـــا، ولكـــن المسيح عليه السلام درجته فوق ذلك لأنه الابن الوحيد فلا نظير لــــه ولا قياس له بالنسبة لغيره من الأنبياء، وهو الذى به غفر ذلة آدم عليه السلام، وهو الذى يحاسب الخلق.

ولهم فى النزول خلاف فمنهم من يقول بنزول قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام، ومنهم من يقول : لا نزول له إلا يوم الحساب، وهو بعد أن قتل وصلب نـــزل ورأى شـــخصه " شـــمعون الصفـــا " والمعروف " بسمعان القانوى "، فكلمه وأوحى إليه ثم فـــارق الدنيـــا وصعد إلى السماء، وكان وصيه شمعون الصفا من أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا.

غير أن " بولس " غير أمره وصير نفسه شريكا لــــه، وغـــير أوضاع علمه وخلطه بكلام الفلاسفة، ولقد كتب بولس رســـالة إلـــى اليونانيين قال فيها : إنكم تظنون أن مكان عيسى عليه السلام كمكـــان سائر الأنبياء وليس كذلك، بل إنما مثله مثل ملكـــيزراق وهـــو ملـــك

السلام الذى كان إبراهيم عليه السلام يعطى إليه العشور، فكان يبارك على إبراهيم ويمسح رأسه.

وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاثـــة : الملكانية والنسطورية واليعقوبية، وأناجيلهم التى اعترفوا بها أربعـــة : متى، ولوقا، ويوحنا، وبطرس (١)

جاءت المسيحية وقد تكالب اليهود على المادة ورأوا فيها كـــل مقومات الحياة وتفننوا فى خلق الطرق للحصول على المال وتنميتـــه، غير مبالين بالوسائل التى يصطنعوها لنجاحهم فى ذلك، فهانت بذلـــك القوى الروحية والمثل العليا، فاتجهت المسيحية لمعالجة هـــذا الـــداء، واتجه السيد المسيح عليه السلام إلى الدعوة للصفاء الروحى والرحمة والتسامح والزهد، وخلت المسيحية إلا من لمحات ضئيلة عن النظـــم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تكاد تذكر، وأولى المسيح عنايته لتطهير النفس والروح ومحاربة الجسم والمال.

وعلى هذا اتخذت المسيحية ثوب الزهد والتسامح وقنعت بهمـــا وانتقلت بكلتيهما إلى التطهير الروحى والتهذيب الوجدانى، وصـــاغت نفسها على أساس أن الدين صلة بين العبد والرب، وأن القانون صلـــة بين الفرد والفرد، وبين الفرد والدولة.

وقبيل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم خبـــا ضـــوء الطهـــر والزهد من المسيحية بما دخل عليها من خرافـــات وأبـــاطيل حتـــى أصبحت ديانة وثنية.

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى صـــ٢٥-٢٧ بتصرف

ويقول العالم الإنجليزى "Sale" عن نصارى القرن السادس الميلادى : أسرف المسيحيون فى عبادة القديسين والصور المسيحية، ووجد خلاف عن طبيعة المسيح، وما إذا كانت مزدوجة أو إلهية تلاشت فيها طبيعة المسيح البشرية كما تتلاشى قطرة من الخل تقع فى بحر عميق لا قرار له.

ونحن نعلم – على وجه القطع واليقين – أن عيسى ابن مريم عليه السلام جاء بدين الإسلام، جاء برسالة سامية كسابقيه من الأنبياء والرسل.. قام يدعو قومه من بنى إسرائيل إلى الله الواحد الأحد. أما الدين المسيحى – نسبة إلى المسيح عليه السلام – أو النصرانية – نسبة إلى الناصرة، وهى قرية فى فلسطين – وعندما ينسب الدين إلى شخص ما أو مكان ما، يكون بداية للتحريف والتزييف والانحراف، والدين يبقى سليما إن بقى متجردا كما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ارتبط بشخص فهو الصنمية، وإن ارتبط بشىء، فهو الوثنية، وهذا الارتباط من طبيعة الإنسان، ولا يعصم منه الا الرسول – فى حياته – والالتزام بما جاء به الرسول بعد موته، ولا مانع أن يرتبط الدين بشخص كالرسول مثلا بشرط أن يحتفظ له بمقامه فلا يغالى فيه، حتى لا يعطى صفة الإلهية، ولا ينقص من مقامه كرسول يوحى إليه، ولا مانع أن يرتبط الدين بشىء كالكعبة مثلا بشرط أن يحتفظ لها بموقعها كقبلة لا يغالى فيها حتى تصبح حجارتها وترابها بل وكسوتها مقدسة لذاتها ولا تنتهك حرمتها.

فدين عيسى عليه السلام كان حقا من عند الله تعـــالى، ونحـــن معاشر المسلمين نؤمن بعيسى عليه السلام وبكتابه، وهو جـــزء مـــن إيمان المسلم : (لا نفرق بين أحد من رسله) [1] ولكن نؤمن برسالة عيسى الصحيحة. أما تلك التي دخلها التحريف والهـــوى، وعصـــى السلطان وغوغاء العامة، فلا حاجة لنا بها.

ولظروف خاصة بالكنيسة، حرفت المسيحية، ويرجع الفضـــل فى ذلك لبولس اليهودى والذى كان يسمى شـــاول فـــى اليهوديـــة أى الصغير، وكان ضد رسالة عيسى وأتباعه، ولرؤيا نهارية – زعمها – مقطوعة السند – ملؤها التناقض، بادى فيها التصنع، دخل بولس فـــى النصرانية، وصار من أتباع عيسى، وأخذ يكرز بالإنجيل من غير فهم للإنجيل، والذى يهمه أن يكون الناس جميعا اتباعا للمسيح – أو له – بغض النظر عن فهم الرسالة، فلا مانع من الدخول فى النصرانية مع شرب الخمر والزنا والربا وأكل أموال الناس بالباطل، وترك العبـــادة وغير ذلك من الضلالات، ولم يكتف بولس بذلك، بل قـــال بألوهيـــة المسيح، ولقد أله عيسى تأليها، ليكون هو النبـــى، وهكـــذا صـــارت نصرانية بولس، وهكذا ضاعت تعاليم السيد المسيح عليـــه الســـلام، وهكذا صارت جسدا بلا رأس، ومادة بلا روح، وصورة بلا عقل ولا قلب، صارت ديانة جوفاء لا يؤمن بها إلا جاهل، إذ لا يصدق أحد أن الأقانيم الثلاثة يصيرون واحدا، ولا يصدق عاقل أن الواحد يســـاوى ثلاثة.

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥

وبعد أن ضيع بولس المسيحية جاء قسطنطين وتحـــت هـــدف سياسى عمل على نشر المسيحية، علما بأنه غير مسيحى ولكنه فعـــل ذلك كى يضم المسيحيين إلى صفة وصارت تعاليم المسيحية ضائعـــة بين بولس وقسطنطين، ودخلها التحريف والتبديل.

وهنا نستطيع أن نقول : "إن المسيحية الحاليـــة ليســت هـــى مسيحية المسيح بل ولا تمت إليها بصلة، إلا الصلـــة الاسـمية، وأن المسيحية الحالية نشأت منفصلة عن المسيح حتى وصلت إلى شـــكلها الحالى.

كشف أثر القديس " بولس " الذى أثر وغَـــيَّر المســيحية إلـــى الحالة التى هى عليها الآن، اذ كان يهوديا متعصبا لليهودية، ثم كـــان وثنيا شديد التعصب للوثنية، ثم زعم أنه كان مسافرا ذات ليلة فـــرأى المسيح فاهتدى إلى المسيحية ثم أخذ يخترع وينســـق، إلـــى أن أقـــام مسيحية تدين له أكثر مما تدين للمسيح نفسه.. (١)

ومن هنا، وعلى يد بولس وقسطنطين انتقلت المســـيحية إلـــى وثنية، ودب إليهم – فى ظلمة الليل – داء الأمم من قبلهـــم، فـــأعملوا التحريف والتبديل والتغيير فى دينهم حتى أصبح لا صلة له بعيســـى عليه السلام وانشق فجر هذا الليل الطويل بعد ثلاثة قرون تقريبـــا – ليقدم للبشرية اختراعا جديدا يلغى به العقل، ويصـــدم بـــه المنطـــق، ويتجاوز به أبسط البدهيات، مؤداه أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة،

---

(١) التبشير والاستشراق للطهطاوى صـــ٦٠

فالإله واحد فى أقانيم ثلاثة : الآب والابن والروح القدس، وبهذا حلت النصرانية المشكلة التقليدية بين دين الله ووثنيات النـــاس، وحسـمت الصراع الأبدى بين وحى النبوة وفكر البشر، وأنهت العداء بين توحيد الاسلام وتعديد الجاهلية. [1] وجمعت بين المتناقضات، وغلفتها جميعا برداء واحد هو المسيحية.

---

(١) التفسير الإسلامى للجاهلية صـــ٥٤

(٢) انظر بتوسع كتاب " التعصب الصليبى " للمولف

الفصل الخامس :

نظرة إجمالية لبعض الأديان الوضعية

الأديان الوضعية أحد قسمى الأديان، فالأديان إما سماوية أتـــى بها الأنبياء والرسل من عند الله عز وجل، أو وضعية وضعها البشر من عند أنفسهم، لا عن طريق الوحى، ورغم أن رسالات الله توالـــت على البشرية تترى منذ أول إنسان خلق على وجه الأرض وهـــو آدم عليه السلام، إلا أن البشرية أبت إلا أن تكذب الرسل وتعرض عــــن آيات الله ودينه.

ولما حاد الإنسان عن الطريق السوى واتبع شـــيطانه وهـــواه واتخذ لنفسه آلهة متعددة، فمنهم من عبد الحجر ومنهم من عبد البقر. ومنهم من عبد النجوم والشمس والقمر، ومنهم من عبد البشر.. الخ.

فانتشرت الديانات الوضعية المختلفة على وجه الأرض، فكانت ديانـــة قدماء المصريين، وكانت ديانة الهند، وديانة الفـــرس وغيرهـــا مـــن الديانات الوضعية.

وفى هذه السطور نتناول إن شاء الله نبذة عن أهم هذه الديانات الوضعية.

المبحث الأول

الديانة المصرية القديمة

أول ما يلاحظه الدارس لديانات العالم القديم : إن أشـــد الأمـــم تدينا هم المصريون القدماء، حتـــى لقـــد قـــال شـــيخ المؤرخيـــن " هيرودوت": إن المصريين أشد البشر تدينا ولا يعرف شعب بلغ فـــى التدين درجتهم فيه، فإن صورهم بجملتها تمثل أناسا يصلون أمام إله، كتبهم فى الجملة أسفار عبادة، ونسك.

ولقد كان لشدة تدينهم أن أدخلوا الدين فى كل أعمالهم الخاصة والعامة، فالدين مسيطر حتى فى الكتابة فى الحاجات الخاصة، وفـــى الإرشادات الصحية.

والواقع أن عقائد المصريين كانت تتخالف بتخـــالف الأقـــاليم، وكانت آلهتهم محلية، فكل مدينة كان لها إله أو أكثر، بيد أنـــه يجـــب علينا أن نعتقد أن دعواتٍ إلى التوحيد الخالص بعباده إله واحد، فـــرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، قد تواردت على العقـــل المصرى.

ولقد ورد فى القرآن الكريم ما يفيد أن يوسف عليه السلام وهو نبى كريم من أنبياء الله دعاهم إلى عبادة الواحد القهار، فلقد ورد فى سورة يوسف ما حكاه الله من كلام لصاحبى السجن، فقد قال حاكيـــا عنه (إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كـــافرون. واتبعت ملة آبائى إبراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك باللـــه

من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر النـــاس لا يشكرون. يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خـــير أم اللـــه الواحـــد القهار، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الديـــن القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١)

من هذا الخبر الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نحكم مستيقنين أن دعوة إلى التوحيد قـــد وردت للمصرييـــن، فهـــذا يوسف وهو فى السجن يدعو صاحبيه إلى الدين القيم وهجر عبادة ما سموه آلهة، ولقد مكن الله ليوسف فى أرض مصر، واســـتولى علـــى خزائن الدولة، وصار ذا سلطان مبين فيها، وهـــو رســـول مـــن رب العالمين، فلا بد أن يكون قد دعاهم جهرة إلى الدين القيم، ولا بـــد أن يكون قد أجابه منهم أناس ونكص عن الإجابة غيرهم.

ولعل أروع ما فى العقيدة المصرية القديمة اعتقـــادهم الحيـــاة الآخرة وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية، فقد كانت الدنيا فى نظرهـــم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود، وقد قام اعتقادهم بالحياة الآجلة بعد هذه العاجلة على أساسين.

أحدهما : أن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الشر والخير، وكثيرا ما نرى الشر ينتصر على الخير، فلو لم يكن هناك يوم كلـــه للخـــير، وكله على الشر، يحاسب المسئ على اساءته، ويكافأ المحسن بإحسانه ما استقام العدل الإلهى.

---

(١) سورة يوسف : ٣٧-٤٠

ثانيهما : اعتقادهم فى النفس الإنسانية، فهم يعتقدون وجود نفس تنفصل عن الجسم وإن كانت تحل فيه، وهذه النفس متصلـــة بالعـــالم الإلهى ما دام الإنسان على قيد الحياة، فإذا مات اتصلت بـــه اتصـــالا وثيقا.

وكان المصريون يعتقدون أيضا أن الميت أو روحه فى العـــالم الآخر يحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء فى الدنيا من طعام وشـــراب، وأن ما يقدم من ذلك فى الدنيا يكون قربانا على أرواح الأموات يفيدهم فى الآخرة، ولذلك تكون روح الميت فى أشد الألم إذا لم تقدم القرابين من طعام وشراب وما إلى ذلك من مطاعم الأحياء فى الدنيا.

والحق أنه مهما يكن فى الديانة المصرية القديمة مـــن أوهـــام وعقائد فاسدة لا تستمد من المنطق قوتها، فإن الآداب التـــى اشـــتملت عليها والفضائل التى تدعو إليها، وخصوصا الجانب السلبى منها كانت معينا خصبا قبست منه الديانات غير المنزلة.

ولقد كانت ديانة القدماء المصريين تتغير، وعقائدهم تتبدل تبعا لسنة الله فى الأمم والكون، ما دامت ديانتهم لم تعتمـــد علـــى أصـــل سماوى، بل إن الديانات السماوية نفسها قبل الإســـلام كـــان يعتريهـــا التحريف والتغيير والتبديل، وتفهم على غير وجهها عندما يكون الناس على فترة من الرسل.

والواقع أن عقائد المصريين كانت تتخالف بتخـــالف الأقـــاليم نفسها، وكان آلهتهم محلية، فكل مدينة كانت لها آلهتها، فكان موطـــن

أوزريس " أبيدوس" وفتاح فى " منف " وآمون فى " طيبة " وهودوس فى " ادفو".. وهكذا.

ومن هذا يفهم أنه لم يعرف المصريون حتى التوحيد الإقليمـــى بأن يجتمعوا على آلهة واحدة، فى كل إقليم، ويتفقوا عليها مهما تتباين جهات إقامتهم، بل كانت آلهتهم محلية، كل إقليم له آلهة خاصة.

فمما لا شك فيه أن المصريين عرفوا الدين من قديم، ثم حدثت الانتكاسة بالشرك، وقد تطور من ثالوث إلى تاسوع حتى بلغ المائـــة (وهذا على عكس ما يقول أصحاب نظرية التطور)

ولم تكن محاولة اخناتون فى الدعوة إلى التوحيد، إلا لأنه قـــرأ التاريخ الدينى القديم وتأثر به وأراد نشره فى النـــاس، ولذلـــك كـــان توحيده مشوبا بالوثنية.

فالمصريون أمة من الأمم هى أسبق الأمم تدينا، والعقل يســـلم بنزول عدد من الرسل إليهم كلما غابت رسالة نبى جاء نبى آخر. كما هو فى القرآن مقرر (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (١)

----

(١) سورة فاطر : ٢٤

(٢) انظر بتوسع : دراسات فى الأديان " أديان العالم القديم " صـــ٢٢-٤٤

المبحث الثانى

أديان الهند

الهند بلاد الأساطير والأسرار، وقد عبد الهنود النـــار، وهـــى أساس عبادتهم، وقد أقاموا لها المعابد، ووظفوا لها الســـدنة والكهنـــة للقيام بطقوس ورسوم تلك العبادة، وقدمت إليها القرابين مـــن خـــبز وعشب وخمر وكافة ثمار الأرض.

ولم تكن عبادة النار وحدها فى الهند، بل كانت عبادات أخرى، فقد عبدوا القمر وغيره الكثير كما عبدوا الشمس، ولكل ظاهرة مـــن ظواهر الطبيعة لها عندهم إله.

فإله السماء (وارونا)، وإله الشمس (فشـــنو) وإلـــه الصبـــح (أوشا) وإله العواصف (رودرا)، وإله الماء (بارجاينا)..

وكذلك هناك آلهة للنور والريح، كمـــا عبـــد الهنـــود الأرواح والأسلاف، بل قيل : أنهم عبدوا عضو التلقيح لاعتقادهم أنـــه ســـبب الخلق والوجود، كما عبدوا الأنثى من البشر، وبرزت الهند بصـــورة واضحة فى عبادة الطواطم، واحتلت مكانة مقدسة حتى إننا نستطيع أن نقول : إنه لم يكن هناك آلهة سواها، كما عبدوا البقر، وقالوا : إنهـــا هى أمهم.

أديان شاعت وبرزت فى الهند :

١- الهندوسية : أقدم أديان الهند وأوسعها انتشارا

٢- البرهمية : وهى أشهر وأكبر الديانات فى الهند

٣- الجينية : وتلى البرهمية فى الأهمية.

٤- البوذية : وهى ثالثة أديان الهند الكبرى.

وكل دين من هذه الثلاثة له طقوسه وواجباته وتعاليمه [١]

(١) الهندوسية :

الهندوسية أقدم أديان الهند، وأكثرها انتشارا وهى أساس للأديان غيرها، والنصوص الخاصة بها عديدة اهتم الهنود بها كثيرا فنقلوها للأجيال المتعاقبة عن طريق السماع والحفظ، أو عن طريق السلوك والتقاليد. ويشتمل الدين الهندوسى على تعاليم متعددة تتضمن جوانب الحياة المختلفة للفرد والجماعة بما فيها من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق.

العبادات الهندوسية :

وهى كثيرة وتقوم على أساس منهج : الوصول والسعادة، وأهمها ما يلى :

١. الحج : وهو قصد أحد البلاد الطاهرة أو أحد الأصنام العظيمة أو أحد الأنهار المطهرة يغتسل الهندوس بها، ويخدم الصنم ويهدى إليه، ويكثر التسبيح والدعاء، ويتصدق على البراهمة والسدنة، ويحلق رأسه ولحيته.

---

(١) - الأديان القديمة : د/ حسن الهوارى ص ٥٠ - ٥٤ بتصرف

٢. الصلاة : وهى تسبيح وسجود، ويكون بوضع الإبهـــامين علـــى الراحتين المتجهتين نحو الشمس أيا كانت.

٣. الذكر : وهو عبادة تشمل قـــــراءة الأوراد والدعـــوات الدينيـــة والتسبيح، ولزوم الصدق والأمر بالمعروف والوعـــظ والتذكـــير، ومنها أيضا الصوم، وتقديم القرابين، وحروق الموتـــى، وعبـــادة البقر.

والهندوسية ديانة الجمهرة العظمى فى الهند، لأنها قامت على أنقـــاض الويدية [١]، وتشربت أفكارها وتسنمت عن طريقها الملامـــح الهنديـــة القديمة والأساطير الروحانية المختلفة التى تمت فى شبه الجزيرة قبل دخول الآريين، ومن أجل ذلك اعتبرها البـــاحثون امتـــدادا للويديـــة وتطورا لها، وتسمى الهندوسية، والهندوكية، إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وأطلق عليها البرهمية ابتداء مـــن القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما.

وأهم عبادات الهندوس : عبادة البقر حيث كانت الهند تقـــدس البقرة تقديسا تاما، والهندوسية أسلوب فى الحيـــاة أكـــثر ممـــا هـــى مجموعة من العقائد والمعتقدات، تاريخها يوضـــح اســـتيعابها لشـــتى المعتقدات والفرائض والسنن، وليست لها صيغ محدودة المعالم، ولـــذا تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الرقيقة.[٢]

---

(١) الويد : هو كتاب الهندوس المقدس ، وهو مجموعة آداب الآريين وكل شئونهم ، والويدات عبارة عن أربعـــة كتـــب دينيـــة : الريـــج فيـــدا
٢- ياجورفيدا ٣- ساما ويدا ٤- آثار ويدا .

(٢) دراسات فى الأديان " أديان العالم القديم " د/ أحمد غلوش صـــ٦٧-٧٠ بتصرف

أهم عقائد الهندوسية

١- الكارما ٢- تناسخ الأرواح أو تجوال الروح

٣- الانطلاق ٤- وحدة الوجود [١]

ومن أشهر وأكبر الديانات فى الهند :

٢- البرهمية :

العقيدة البرهمية : يقسم أبو الريحان البيرونى الهنود بالنسبة لاعتقادهم فى البرهمية إلى خاصة وعامة، ويفترض أن الخاصة موحدون، وغيرهم وثنيون، وهو يقول فى هذا المقام : " إنما اختلف اعتقادهم الخاص والعام فى كل أمة بسبب أن طباع الخاصة تنازع المعقول وتقصد التحقيق فى الأصول، وطباع العامة تقف عند المحسوس وتقتنع بالفروع "

يقول البيرونى : " واعتقاد الهند فى الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلى من غير إبتداء ولا انتهاء، والمختار فى فعله، القادر، الحكيم، المدبر، المنفرد فى ملكوته عن الأضداد والأنداد.

منشأ الوثنية فى الديانة البرهمية : هى أنهم كانوا يعبدون القوى المؤثرة فى الكون، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى بأن اعتقدوا حلولها فى بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام بحلولها فيها وتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهـا، ثم اعترى عقائدهم التغيير والتبديل حتى انحصر الآلهة فى ثلاثة أقانيم، وذلك أنهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة وهى :

---

(١) مقارنة الأديان د/ أحمد شلبى صـ٤٠-٤٣ بتصرف ، دراسات في الأديان " أديان العالم القديم " صـ٤٥-٥١ بتصرف

١- " براهما " : وهو الإله الخالق، مانح الحياة، القوى الذى صدرت عنه جميع الأشياء، وينسبون إليه الشمس.

٢- " سيفا أو سيوا " : وهو الإله المخرب المفنى الذى تصفــــر بـــه الأوراق الخضراء ويأتى بالهرم بعد الشباب، وينسبون إليه النار، لأنها عنصر مدمر مخرب.

٣- "ويشنو" " أو يشن " على حد تعبير البــيرونى : ويعتقــدون أن " ويشنو " هذا حل فى المخلوقات ليقى العالم من الفناء التام.

وهذه هى الآلهة الثلاثة أقانيم لإله واحد فى زعمهـــم، والإلـــه الواحد هو الروح الأعظم واسمه " آتما " والهنود يعتقدون أن بعـــض آلهتهم حلت فى إنسان اسمه " كرشنه " والتقى فيه الإله بالانســـان، أو حل اللاهوت فى الناسوت فى كرشنة، ويصفونه بأنه البطـــل الوديـــع المملوء ألوهية، لأن الإله "ويشنو" قد حل فيه.

النفس، خلودها، وتناسخ الأرواح : النفس فى نظر البراهمـــة جوهر خالد صاف ما دام منفصلا عن الجسم، والنفس عندهم خـــالدة باقية لا يعتريها الفناء، ولا يتطرق إليها البلى، وهى تنتقل من جســـم إلى جسم، ومن ذلك جاء اعتقادهم فى تناسخ الأرواح.

وقد قامت عقيدة التناسخ عندهم على دعائم ثلاث :

١- اعتقادهم خلود الأرواح.

٢- اعتقادهم أن الروح بعد مغادرة الجسم تكون فى حنان دافع إلـــى الأجسام لما انطبع فيها من المحسوسات.

٣- النفس فى حالة بقائهـــا فـــى الجســـم تحيـــط علمـــا بالجزئيـــات والكليات.[١]

نظام الطبقات فى الديانة الهندية :

الطبقة الأولى : وهى طبقة البراهمة : وهم رجال الدين الذيـــن يبينون أحكامه ويذكرون قضاياه.

الطبقة الثانية : وهى طبقة الجند، وتسمى " الكاشتريا"

الطبقة الثالثة : وهى طبقة الزراع والتجار وتسمى " الويشية "

الطبقة الرابعة : وهى طبقة الخدم وتسمى " الشودو "[٢]

الحياة الآخرة : من عادات الهنود الدينية أن أجسام أكـــابرهم تحرق بعد الموت، لأنه باشتعال النار تتجه الروح إلى أعلى فتصعـــد إلى السماء فى الملكوت الأعلى فى أقرب زمن، وإذا تخلصت الروح من الجسم كان أمامها ثلاثة عوالم، أولهـــا : العـــالم الأعلـــى وهـــو الملائكة، والعالم الثانى : هو عالم الناس والنفس تعود إليه بالحلول فى جسم إنسان آخر لتكتسب عمل خير، والعالم الثالث : هو عالم جهنـــم، وهذا العالم يكون لمرتكبى الخطايا الواقعين فى الذنوب [٣]

٣- الجينية :

ظهرت الجينية فى الهند كديانة مطورة من الهندوسية وتشـــبه البوذية إلى حد كبير ومؤسس الجينية هو " مهاويرا " وهو أحد أبنـــاء طبقة الكاشتريا، ولد فى واحد من قرى ولاية بيهار وكان لوالـــده دور هام فى شئون.

----

(١) دراسات فى الأديان د/ غلوش صــ٥١-٦٤ بتصرف

(٢) المرجع السابق صــ٦٤-٦٦ بتصرف

(٣) الأديان القديمة د/ الهوارى صــ٥٥ بتصرف

الحرب وحكم الإقليم، ولقد نشأ بين الرخاء وطيب العيش يقبل عليه الناس والعديد من الكهان والرهبان مع أهله، وسرعان ما تأثر بالمواعظ والنصائح والحِكَم، فمال إلى طريق الرهبنة والتبتل والزهد وترك الملك واتخذ لنفسه مسلكا قاسيا، نتف شعر جسمه وسار حافيا وأكثر من الانقطاع وعدم الطعام والتجول فى البلاد والتأمل والتفكير حتى إن الجينيين يقولون : إن مهاويرا وصل بعد سنتين من صراع النفس وقهر الشهوات إلى نهاية الطريق، وصل إلى مرحلة الذهول وعدم الإحساس بما حوله، وأخذ يدعو لعقيدته فى عشيرته ومدينته وفى الإقليم الذى يتبعه مسجلا دعوته فى النصوص الكثيرة التى خاطب بها الناس من خلال خطبه ووصايا، وأخذ يدعو إلى أن جاء أجله فمات سنة ٥٢٧ ق. م تقريبا.

أركان الجينية :

١- الجينية والإله : يرى الجينيون كما يرى البوذيون أن ظلم البراهمة يرجع أساسا إلى الإيمان بالآلهة، ولذلك ذهبوا إلى إنكار الآلهة تحت أى مسمى.

ولا يختلف الجينيون عن البوذيين فى هذا إلا فى إعلان هذا الإنكار، فلم يلتزموا الصمت ولكنهم بسبب ميلهم الشديد إلى المسالمة وعدم العنف ذهبوا إلى الاعتراف بآلهة الهندوس فقط.

٢- الجينية والطبقات : تنكر الجينية نظام الطبقات على أتباعها إلا أنها تسلم به للهندوس منعا للتعارض معهم، وتختلف فى هذا عن

البوذية، لأن البوذية تنكر الطبقات لأتباعهـــا ولغـــيرهم، كمـــا أن البوذية لا تسمح بظهور الطبقات بأى صورة من الصور، بينمـــــا الجينية تقسم أتباعها إلى عامة وخاصة.

٣- تناسخ الأرواح : يؤمن الجينيون مثل الهندوس والبوذيين بانتقـــال الروح من جسد إلى جسد [١]

٤ـ البوذية :

نشأت الديانة البوذية بالهند، كما حلت البرهمية فيها، وقد كان منشأها برهميا، وهى فى الواقع تخفيف لما جاء فى البرهمية من تعـــاليم، وإزالة لما أحدثته البرهمية من تفريق بين الناس يتـــوارث بينهـــم خلفا عن سلف.

ومنشئ تلك الديانة هو " بوذا " واسمه " سداتنا " واسم أسرته " جوتاما " وأحيانا يطلق عليه اسم أسرته، أما " بوذا " فلقب له، ومعناه العالم، ويلقب أيضا " تسكياموني" ومعناه : المعتكف، من أسرة سيكا، ولد سنة ٥٦٠ ق. م

المذهب البوذى العملى : العماد الذى أقام عليه بوذا مذهبه فى السلوك القويم للإنسان أن يجاهد الشخص الشـــهوات، ولكـــى يصـــل الإنسان إلى هذه الغاية السامية لا بد وأن يكون فى حياته مقيدا نفســـه بالفضائل، ومبتعدا عن الرذائل.

----

(١) دراسات فى الأديان صـــ٨٥-٩٠ بتصرف

وقد ذكر فى كتب البوذية عشر رذائل، جاء النهى عنها فى تلك الكتب على صورة وصايا، وتلك الوصايا العشر هى :

١- لا تقتل أحدا ٢- لا تسرق ولا تغتصب

٣- لا تكذب ٤- لا تشرب خمرا

٥- لا تزن ٦- لا تأكل طعاما نضج من غير أوانه

٧- لا ترقص ولا تحضر حفل غناء

٨- لا تتخذ طيبا

٩- لا تقتن فراشا وثيرا، ولا وسائد ولا حشايا وثيرة

١٠- لا تأخذ ذهبا ولا فضة [١]

---

(١) انظر بتوسع : دراسات فى الأديان ١- أديان العالم القديم د/ أحمد غلوش صـــ٧٣-٨٤

المبحث الثالث

دين الصين واليابان

أمة الصين من أمم الحضارات القديمة كان لها مدنيـــة وعلـــم، وبالضرورة كان لها دين تدين به وتلتزم تعاليمه وتمارس طقوسه.

ولقد جربت الصين جميع أنواع العبادات من الخرافة إلى الأســـطورة إلى الحكمة إلى الأخلاق، ودانوا بالقيم الوضعية والقيم الرفيعة علـــى السواء، وأخذوا من دين كل الأمم واعتقادات كـــل الشـــعوب، وهـــم يعتقدون أنه لم يكن فى البداية إلا إله (بان - كو) الذى كـــان قويـــا شديدا رهيبا له رأس تنين، وجسد أفعى، طال عمره إلى آلاف السنين، ولما كان الموت تجمعت أنفاسه فكانت الريح والسحب، وكانت أناتـــه الرعد ودمة الأنهار،ولحمـــه الأرض، وعرقـــه المطـــر، وعظامـــه الصخور، وأسنانه المعادن، وشعره الغابات والأشجار وعينه اليسرى الشمس، واليمنى القمر، أما الحشرات التـــى تعلقـــت بجســـمه فهـــم الآدميون.

وتوالى ملوك السماء من بعده يحـــاولون أن يمدينـــوا هـــؤلاء الآدمين ويهذبوهم ويوجهوهم الوجهة الصحيحة حتى لا يبقـــوا كمـــا خلقوا حشرات دنيئة ضارة وضالة.

وعبدوا المطر والرياح والسحاب والرعد والبرق وكل مظاهر الطبيعة.

وجعلوا السماء هى الإله الأكبر باعتبار أن معظم الخير يـــأتى منها، وعبدوها بجانب الشمس والقمر والمطـــر والرعـــد والأنهـــار، وأطلقوا عليها اسم (الإله الأعظم "تيان")

كما عبدوا أرواح أسلافهم وأجدادهم، وهذه الديانة لا تعـــترف بالرسل والأنبياء، وإنما يقوم بأمور الدين رجال مربـــون ومعلمـــون، ولقد دانت اليابان أيضا بالكونفوشوسية، واعتقدت مبادئها كما اعتقدت مبادئ البوذية وديانة الشننتو القديمة، وأبرز تعاليم كونفوشيوس (حب العلم) ولا تزال للكونفوشيوسية المكانة الجليلة فى اليابان [١]

الكونفوشيوسية

لقد اتصلت الفلسفة الصينية بالدين وامتزجت به امتزاجا تامـــا فالفلسفة فى الصين لم تتجاف عن الدين ولم تنأ عنه.

ولم يكن كونفوشيوس مدعيا لرسالة ولم يكن هو رسولا مبعوثا، بل كان حكيما فيلسوفا يبشر بمذهب الأخلاق، وأما عقيدته فهى ما كان يعتقده الصينيون القدماء، وأساس هذه العقيدة أنهم يعبدون ثلاثة أشياء: السماء، والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء (الملائكة) وأرواح الآباء.

ومن عقائد الصينين أو أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى فى الدنيا مع أسرهم ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديســـا لهـــم ووفاء لعهودهم.

---

(١) الأديان القديمة د/ حسن الهوارى صـــ١١٨-١٢٣ بتصـــرف ، دراســـات فـــى الأديـــان صـــ١٠٠-١٤ بتصرف

وعبادات الصينيين غناء ورقص وموسيقى، ولم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نـــار ولا ثـــواب ولا عقـــاب، ولقـــد أخـــذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد ولم يزد عليها، فلم يؤمن باليوم الآخـــــر ولم يفكر فى الحياة بعد الموت بل كان كل همة فى إصــــــلاح الحيـــاة الدنيا.

هذا هو الفيلسوف الحكيم الذى لا تزال الصيـــن تجلـــه علـــى اختلاف مللها ونحلها، وله آراؤه الخلقية التى لا تـــزال فـــى الصيـــن نبراسا يهتدى به.

ويجدر بنا أن نقول : إن ذلك الحكيم لم تكن عنايتـــــه الكـــبرى متجهة إلى تأليف كتب، ولكن عنايته متجهة إلى تكوين نفوس[1].

دراسات فى الأديان : صـــ ١١٥ ، ١١٦ بتصرف

المبحث الرابع

وثنية اليونان

١- تعدد أربابهم وتماثيلهم: اليونان الأقدمـــون كـــانوا يؤلهـــون مظـــاهر الطبيعـــة ويعبدونهـــا، فـــإنهم ألهـــوا الســـماء والأرض والبحر والشمس والزمـــن.

٢- وكان لكل مدينة أربابهـــا الخاصـــة بهـــا ومعبـــودات لهـــا كثيرة.

٣- وأرباب اليونان يزعمون لآلهتهـــم التجســـد ويتصـــورون لها حياة كحياة الإنسان وعلـــى أكمـــل وجـــه مـــن أوجـــه الحيـــاة الإنســـانية الجســـدية والشـــهوانية والنفســـية، فيصورون إلههم كائناً حياً فى أبهى مظـــاهر الحيـــاة مـــن الصور البشـــرية ويتمثلـــون المعبـــود أو المعبـــودة علـــى صورة رجل جميل أو إمـــرأة جميلـــة ويذكـــرون لآلهتهـــم من الصفات ما يليق بالإنسان من اعتـــدال قامـــة واتشـــاح بالثياب الجميلة وتحل بالذهب والفضـــة.

وللأرباب تاريخ وحوادث وقصـــص.

ولقدل صوروا لكل رب مـــن هـــذه الأرباب تمثـــالاً يعبـــد، ولقد كان للتماثيل الكبيرة محال خاصـــة بهـــا، يزعمـــون أن الآلهـــة توحى إليهم فيهـــا علـــى لســـان الكهنـــة، وأشـــهرها معبـــد دلفـــى

لأبولون بمدينة فوكيسى.وقـــد بقيـــت تلـــك الديانـــة حتـــى ظهـــرت المسيحية فعاليتها حيناً من الزمـــن وقضـــت عليهـــا ولكـــن بعـــد أن أثرت أبلغ الأثر فى المسيحية فلســـفة الإغريـــق [1].

ومن نافلة القول أن نقـــول: إن النـــاظر فـــى أديـــان اليونـــان يجدها تنسف قضية التطور فى العقيدة التـــى ينـــادى بهـــا الغـــرب من الجذور.

فرغم التطور العقلـــى والمنطقـــى الـــذى تمـــيز بهـــا مفكـــرو اليونان من القدم إلا أنهم عجزوا عن الوصول إلـــى حقيقـــة الديـــن، فنجد رجال اليونان يصورون الآلهـــة بصـــورة ســـاذجة لا تتفـــق مع العقل السليم، أمثال هو ميروس(الشـــاعر المعـــروف) يصنـــع قصيدة الإلياذة أو الأوديسا. ويصور الآلهة بواقـــع وجودهـــم بـــأنهم أرباب من الكثرة بمكان كما سبق ذكـــره.

ولا يمكن القول بأن العقـــل هـــو الـــذى وضـــع الديـــن فـــى اليونان. ومن تخبط العقل اليونانى الذى عـــرف بقـــدم الســـبق فـــى التفكير المنطقى والفلسفى نجـــزم بـــأن العقـــل يعجـــز عـــن إدراك حقيقة الدين، الأمر الذى يجعلنا نسلم بـــأن هنـــاك رســـالة صحيحـــة دعت إلى التوحيد ثم أصابها التحريف لما عفـــا عليهـــا الزمـــن [2].

١- الديانات القديمة للشيخ أبى زهرة ص ٦٥- ٧١ بتصرف

٢- دراسات فى الأديان د/أحمد غلوش ص ١٤٩- ١٥٠ بتصرف

المبحث الخامس

وثنية الرومان

اعتقد الرومان كما اعتقد اليونـــان مـــن قبـــل بـــأن كـــل مـــا يحدث فى هذا العالم هو مما قضت به إرادة خـــالق لـــه لكنهـــم لـــم يعتقدوا بوحدانية الخـــالق، بـــل عـــددوا أربـــابهم بتعـــدد مظـــاهر الطبيعة، فهناك رب ينبـــت البـــذر وآخـــر يحمـــى الحقـــل، وثـــالث يحرس الثمار، ولكل رب اسمه وجنســـه وعملـــه.

فالأرباب قد تعددت عند الرومان، فلكل مظهـــر مـــن مظـــاهر الحياة رب، فعندما يولد الطفـــل يأتيـــه رب يعلمـــه النطـــق، وربـــه تعلمه الشرب، وأخـــرى تقـــوى عظامـــه، وربـــان يرافقانـــه إلـــى المدرسة وآخران يرجعان بـــه.

ولقد أتى عهد على الرومان كانوا يعبـــدون فيـــه تلـــك الآلهـــة من غير أن يتخذوا لها تمـــاثيل، بـــل كـــانوا يعبدونهـــا مـــن غـــير تماثيل خالصة لكل إله، ثم اتخذوا بعد ذلـــك الأصنـــام وكـــانت مـــن الخشب فى بادئ الأمر ثم اتخذوها مـــن الرخـــام.

ولقد كان الرومان يؤمنون بـــالطيرة أو الفـــأل فيذهبـــون إلـــى أن الأرباب يعرفون ويرسلون للناس آيـــات يدركونهـــا فيســـتنصح الرومانى الأرباب قبـــل أن يشـــرع فـــى عمـــل فـــإذا أراد الحـــاكم عملاً يجمع لديه مجلساً ينظر إلـــى الطيـــور الســـائرة فـــإذا كـــانت فيها إشارة موافقة يدركـــون أن الأربـــاب استحســـنت المشـــروع،

وإلا كان معناه أنهم غير راضين عنه، ولقد كان الرومان يقدسون الأباطرة ويقيمون المحاريب [1].

ا- الديانات القديمة لأبي.زهرة ص ٩٠ بتصرف.

المبحث السادس

دين الفرس

أما الفرس من الأمم القديمة ذات الحضارة والتاريخ والدين.

والديانة الفارسية من الديانات الآسيوية القديمة التي جذبت انتباه الباحثين وعلماء الأديان إذ جاءت متكاملة الجوانب، واضحة المعالم، متميزة عن كل الديانات الآسيوية القديمة..

ولقد عاش الأقدمون من الفارسيين حياة بدائية ومارسوا عبادات وثنية، واصطنعوا ديناً خرافياً يعتمد على السحر والشعوذة ويؤله مظاهر الطبيعة.

فعبدوا الشمس إلهاً لأنها تنضج المحاصيل وسموها الإله " ميثرا " وعبدوا الأرض إلهاً للخصوبة، لخصوبة تربتها وسموها الإله " أنيتا "، كذلك جعلوا المطر إلها، والريح إلهاً والسحاب وكل ما ينفعهم في البيئة الزراعية وحياتهم الرعوية إلها يتوجهون إليه بالتقديس والدعاء، ويتقدمون إليه بالقرابين من أطيب طعامهم.

وفي صناعة آلهتهم من الأصنام تختلف أنواع المادة المصنعة باختلاف الطبقات، فالفقراء أصنامهم من الطين والحجارة، والطبقة الموسرة من الفضة، والطبقة الغنية من الذهب، وأقامت المعابد وتتقرب للآلهة بواسطة الكهنة..

وظلت الأحوال الدينية هكذا فـــى بـلاد فـارس حتـــى جـاء زرادشت الذى ولد على الراجـــح عـــام ٦٦٠ ق. م وهـــم يجعلـــون لزرادشت معجزات كثيرة عند ولادته وفى حالة الحمـــل بـــه، ولمـــا ولد زرادشت أخذ يدعو إلى الدين الذى أرسل بـــه، وينهـــى النـــاس عـــن الأوثـــان والشـــيطان، ولكـــن النـــاس فـــى البدايـــة صـــدوه وأعرضوا عنه فاشتكى لربه " أهورامزدا " الإلـــه الأعظـــم.

يقول الشهرستانى: وكـــان ديـــن " زرادشـــت " عبـــادة اللـــه والكفر بالشيطان، والأمر بـــالمعروف والنهـــى عـــن المنكـــر ولمـــا كانت دعوة زراد شت تقوم على ذلـــك وعلـــى توحيـــد اللـــه عـــز وجل ذهب بعض العلماء أنه كان نبيـــاً مرسـلا مـــن اللـــه لأهـــل فارس، ووصـــل بهـــم الأمـــر إلـــى أن قـــالوا: إن زرادشـــت هـــو إبراهيم عليه السلام وهذا قول بـــاطل مـــردود، وإن كـــان مـــا ورد عنه- إن صح- لا يحول دون نبوته ورســـالته، واللـــه أعلـــم (١).

وهناك المانوية والمزدكيـــة مـــن ديانـــات الفـــرس المعروفـــة أيضـا.

١- الديانات القديمة ص ١٢٥ بتصرف

المبحث السابع

دين البابليين

تقع بابل فى منطقة خصبـــة عذبـــة الميـــاه، كثـــيرة الخــيرات فى شبه الجزيرة العربية، ويرى كثـــير مـــن المؤرخيـــن أن كلمـــة بابل لم تطلق على تلك المنطقة قبل عام ٢١٠٠ قبـــل الميـــلاد، أمـــا قبل ذلك فكان يطلق على تلك الأرض " ســـهل شـــنغار ".

ويذكر العهد القديم فى سفر التكوين أنـــه بعـــد طوفـــان نـــوح عليه السلام كانت الأرض كلها لســـانا واحـــدا ولغـــة واحـــدة، وأن الذين استقروا بأرض " شـــنغار " بنـــوا لأنفســـهم مدينـــة وأقـــاموا برجاً عاليا عتوا فـــى الأرض، ومحاولـــة للتخليـــد، فعـــاقبهم اللـــه فبلبل لسانهم فتكلموا بألسنة شتى، ومن ثم ســـميت مدينتهـــم بـــابل.

ولم يكن البابليون بمعزل عـــن الحضـــارات المجـــاورة فـــى بلاد الفرس والهند والشام ومصر، ومع ذلك فقـــد جـــاءت عقـــائدهم على أساس من الأساطير الخرافية، والخيـــالات الضالـــة.

وحفلت وثنيتهم بحشد هائل من الأرباب الذيـــن بلغـــوا خمســـة وستين ألف إله، فقد كانوا يعتقدون أن لكـــل مدينـــة إلهـــا يحميهـــا، وأن لكل قرية إلها، وأن لكل قبيلـــة إلهـــا، وأن لكـــل أســـرة إلهـــا ، وإن لكل فرد إلها يتكفل به، وهذه الآلهـــة الصغـــار ترأســـها الهـــة كبرى تمثل مظاهر الطبيعة وقواها، وفوقها آلهـــة أخـــرى كـــبرى،

وفوقها الهة أكبر لها الحكم والتصرف المطلــق فــى كــل الشــئون، ولها الكبرياء، والتحكم فى أمور الخلق، والآلهــة الأخــرى دونهــا.

فالعقيدة البابلية عقيدة وثنية معددة، ولــم تــترق إلــى التوحيــد ولم تقترب منه، وهذا ما يدحض حجــة القــائلين بتطــور العقيــدة، ويؤكد أن العقل البشرى مهما نما وســما لا يســتطيع إدراك مكانــة التوحيد المنزهة المبرأة، بل لابــد مــن بــلاغ مــن اللــه تلتزمــه العقول لتهتدى إلى بارئها، فتقدره حــق قــدره. (١) ويقــول الأســتاذ العقاد، فى كتابه " الله ": بابل لم تتوحد فيها العقيــدة حــول مركــز دائم بعيد عن طوارئ التغيــير والتعديــل.. وكــانت مــن ثــم ذات نصيب فى الشــريعة.

ويستطاع الجزم بأن الرسالة البابلية فـــى الديـــن لـــم تتجـــاوز رسالة الديانة الشمسية الســلفية.

وقد اتفق الساميون والشمريون على الأربـــاب الكـــبرى كإلــه النور الذى يسميه الساميون " شــمس " ويســميه الشــمريون (آتــو) أو كالزهرة ربة الحب.. ولكن الأرباب البابلية أوفــر عديــداً مــن أن ينتظمها اتفاق قومين مختلفيــن، لا نهــم ارتفعــوا بعددهــا إلــى أربعة آلاف، وقرنوا بها أنداداً لها من الشــياطين والعفــاريت تبلــغ هذا العدد أو تزيــد.. (٢)

١- الأديان القديمة د/حسن الهوارى ص ١٠٣- ١٠٤ بتصرف

٢- الله للأستاذ/ عباس العقادص ٨٩- ٩٠ بتصرف

المبحث الثامن

دين الآشوريين

فى بلاد مـــا وراء النهريـــن عرفـــت- علـــى مـــر التـــاريخ- معتقـــدات كثـــيرة، أهمهـــا معتقـــدات الســـــومريين، والبـــابليين والآشوريين، وذلك فى عصور ثلاثة اختلفـــت فـــى شـــئون الحكـــم والسياسة إلا أنها تقترب فى أمور العقيدة، وكـــانت هـــذه العصـــور تضم بين أحشائها الكثير من الآلهة، وكـــانوا كثـــيراً مـــا يختلفـــون، ولكن سرعان ما اتفقوا على أن يجتمعوا مرة فـــى كـــل ســـنة كـــى يتفقوا على نظام لكونهم وأنظمـــة لسياســـتهم.

وفى الوقت نفسه كانوا يســـجلون أنظمتهـــم الموضوعـــة فـــى لوح محفوظ لا يجوز أن يمحى منه شىء قبل نهايـــــة العـــام.

ولقد حدد مجمع الآلهة من يقـــود آلهـــة عصـــره، فهـــا هـــو " آشور" يـــتزعم أبـــوة الآلهـــة، فهـــو الإلـــه الاكـــبر فـــى عصـــر الآشوريين.

ومن عجب أن الأشوريين يعقدون مجمعـــاً- مجمـــع الآلهـــة- وينتخبون أبا يتبنى صغار الآلهة وهـــو أكـــبرهم " آشـــور " فـــإنهم بهذا يكونوا أسرة إلهية من طراز عقولهـــم ومخترعـــاتهم الواهيـــة.

ولقد كان ميـــلاد عصـــر الآشـــوريين فـــى القـــرن العاشـــر والتاسع قبل الميلاد، بعد أن غار " ســـرجون الثـــانى " علـــى بـــابل

الأول، ولقد كـــان ســـرجون الثـــانى يلجـــأ إلـــى تملـــق البـــابليين المغلوبين بمعاملة ربها وإلهها " بعل مـــــردوخ " وكهنتهـــا وتجارهـــا أحسن معاملة فلم يقســـو عليهـــم ولـــم يطـــاردهم أو يهـــاجمهم بـــل عاملهم بالرحمة واللين والســـــماحة.

ولقد احتاجت آشور باستمرار كـــى تـــأكد وضعهـــا السياســـى والاقتصادى إلى القيام بعمليات عسكرية مستمرة فقـــد كـــانت تتسـم حياتها بالحياة العسكرية البحتة حتى وصـــل الأمـــر إلـــى أن نـــرى آلهتها تتسم فى الغالب بســـمات عســـكرية ممـــا يدعـــو إلـــى عـــدم الدهشة، مثـــل " نينورتـــا " إلـــه الحـــرب والصيـــد، فقـــد اتصـــف بصفات حربية وعسكرية وهـــــى نفـــس صفـــات عصـــره، وكـــان نينورتا هذا له أسماء أخـــرى مثـــل نمـــرود، و جـــير ســـو، وكـــو سكو، و خبيل.

ولكل إله من الآلهة الكـــبرى صفـــات خاصـــة يبتهـــل إليهـــا بأسمائها الشخصية أثناء الصـــلاة وهـــى فـــى مجملهـــا تشـــع بـــهاء ونوراً وتخلق جواً مـــن الرهبـــة يجعـــل الأنصـــار قبـــل الأعـــداء يرضخون، وقد كان لكل إله رمـــزه وتمثالـــه الـــذى يبـــدو منظـــره عادياً كأى رجل أو امرأة، ولابد لكل إلـــه أن يحمـــل رمـــزا يعيـــن على هوية مثل " إله الشـــمس ".

وشاماش أو شمش الذى يحمـــل فـــى يـــده منشـــار القطـــع أو تراه واقفاً فوق حيوان رمـــزى.

وكان لكل إله أو لكل تمثـــال طقوســـه وهيمنتـــه تخضـــع لـــه الرقاب ويضعف أمامه الأقوياء ويهـــزل أمامـــه العظمـــاء والإلـــه "حدد " إله الجو الآشورى نراه يمتطـــى العاصفـــة، وهـــى مطيتـــه الرمزية، وهو يرعـــد كـــالثور ممســـكاً فـــى يـــده بشـــوكة الـــبرق الثلاثية، وعلى الرغم من أنه كان يجلـــب الخـــراب والدمـــار عـــن طريق المطر، ومع أن عبادته كانت فى بـــابل وآشـــور فإنـــه كـــان أكثر شعبية فى المدن السورية كثيرة التـــلال حيـــث كـــان يســـمى " رامـــان " أو " ريمـــون او (المرعـــد) أو (حـــدد) وأو آدو أو باســـم الحيثى (تشوب) ومن هنا ركبت آلهة آشـــور المطايـــا.

البعث عند الآشوريين

لقد اتفق النهريون من بـــابليين وســـوماريين وآشـــوريين فـــى حكمهم على البعث واليوم الآخر فقالوا: بأنه هناك حيـــاة بعـــد تلـــك الحياة ولذلك كانوا إذا وقفوا الرجـــل مـــن عظمـــائهم فـــى تابوتـــه داخل أقباء حجرته وضعوا معه كل ما يحتاج إليـــه لأنـــه ســـيحتاج هذه الأشياء بعد بعثه. ولقد دلت الحفـــائر علـــى أن كبـــار الملـــوك كان يدفن معهم عدد كبير من حاشيتهم الذيـــن يقتلـــون يـــوم موتهـــم ليكونوا فى خدمتهم فى العالم الآخـــر.

ولم يكن لدى الآشـــوريين (كغـــيرهم) فكـــرة واضحـــة عـــن الجنة والنار ولكن كانوا يعتقدون أن كل إنسان يوفـــى جـــزاؤه فـــى حياته الدنيا، فالصالحون تغرق عليهم الآلهة متعـــة وســـعادة وغنـــى

وترفاً وتحميهم من الأمـــراض والأشـرار تتخلـى عنهـم الآلهـة فتصيبهم الآفـــات فـــى أنفســهم وأولادهـم، وإذا كـثرت الذنـوب وعصت المعاصى جاء عـــذاب الآلهـــة عامـــاً ونقمتهـــا شـــاملة أو تزلزل بهـم الأرض.

لقد حرصـــوا علـــى إقامـــة الصلـــوات والتقـــدم بالضراعـــة للآلهة، ومن أدعيتهم: " فلـــترض عــن الآلهـــة حيـــن أرفـــع يـــدى إليها، لتمنحنى أمطـــاراً غزيـــرة وأعوامـــاً كثـــيرة مليئـــة بـــالثروة والرخاء، ولتعاوننى على الخروج من الحروب ســـالمة آمنـــاً ".

شواهد تدل على وجود الآشورية: لقـــد توصـــل العلمـــاء إلـــى اكتشاف آثار تدلل على مســـتوطنات آشـــورية قديمـــة، ومـــن أقـــدم هذه المســـتوطنات القرويـــة " جـــيرمو " فـــى العـــراق، و " كـــانل هيبوك " في تركيا.

وأريحا فى فلسطين التى كانت موجـــودة بـــالفعل فـــى الألـــف السابع أو الســـادس قبـــل الميـــلاد، وفـــى الألـــف الرابـــع تعلمـــت مجموعات كبيرة من الناس فى جنـــوب بـــلاد مـــا بيـــن النهريـــن " العراق الحديث " التحكم فى ميـــاه دجلـــة والفـــرات ورى الســـهول المحيطة بها.

ولقد شهدت أيضة بقايا معـــابدهم وهيـــاكلهم علـــى وجودهـــم، كما توصل العلماء إلى حوالى نصف مليـــون وثيقـــة مكتوبـــة علـــى الطيـــن، وكذلـــك بـــألواح الكتابـــة التـــى اســـتخدمت المســـمارية

والآشورية ومن ملاحم آشـــور الإلـــه كمـــا قـــال الآشـــوريون فـــى رصف تكوين الأرض أن آشـــور الإلـــه يربـــط قصبـــات بعضهـــا ببعض ويبسط الأرض فوقهـــا علـــى طريـــق تكويـــن القـــرى فـــى المستنقعات الجنوبية فى بلاد ما بيـــن ا لنهريـــن (١).

١- المعتقدات الدينية (جغرى بارندر)، قصة الديانات د/ سليمان مظهر، الأديان القديمة د/ حســـن الحوارى

الخاتمة:

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد

فمن هذه الدراسة الموجزة عن نشأة الديـــن يتبيـــن لنـــا عـــدة أمور هامة:

ضرورة الدين للإنســـان مهمـــا كـــانت بداوتـــه أو حضارتـــه، لأنه يسعى نحو دين يتدين به لأن ذلك يشبع فيه فطـــرة خلـــق بهـــا، وهو فى حاجة إلى الدين أكثر من حاجتـــة إلـــى الطعـــام والشـــراب، بل أولى من حاجته إلى الهواء الذى به تكـــون الحيـــاة.

القول بتطور الدين غـــير مســـلم بـــه، لأن دراســـة الأديـــان القديمة مـــن والتـــبع وجودهـــا نـــاقضت فكـــرة التطـــور مناقضـــة صريحة.

وأن الحق فى نشأة الدين يرجع إلى الوحى الـــذى أنزلـــه اللـــه على رسله ليكونوا هداة للحـــق، دعـــاة إلـــى الصـــراط المســـتقيم، آخذين بيد الإنسان إلى الطريـــق الصحيـــح.

وإن الانسان بلا دين كالريشة فى مهب الريـــح ترفعهـــا الريـــح مرة وتضعها أخرى، أما بـــالدين فهـــو كـــالجبل الشـــامخ الـــذى لا تؤثر فيه الزوابع والأعـــاصير.

أن وحدة مصدر الدين، تدل على وحدة المنهج إلا أنـــه تتعــدد صور تطبيق ذلك المنهج بتعدد سبل المنهاج: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا).

لم تخل أمة من الأمم من دين: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وذلك لأن مراد الله من خلق الناس أن يعبدوه: (ومــا خلقــت الجــن والإنس إلا ليعبدون)

توافر كل الأنبياء على الدعوة إلى دين واحد هو الإسلام، كـــل منهم يحمل جزءاً لقوم معينين.

كل الديانات السابقة– التى سبقت الاسلام– قد شابها التحريــف والتغيير، وأصابها البطلان، فهى محكوم عليها بالكفر الصراح، إذ لا دين حق سوى الإسلام الذى نسخ جميع ما قبله من الملل والنحل.

إن الإسلام هو دين الله القيم، الذى جاءت بــه جميــع الأنبيــاء والرسل، مشتملاً على التوحيد الخالص، ملتبساً بالحق، مائلاً عن الزيغ والضلال، متصلاً بالفطرة، مرتبطاً بمنهج الله: (إن الدين عند اللــه الإسلام) فهو به أرسل رسله، وأنزل كتبه.

من فضل الله علينا أن هدانا للإسلام، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والحمد للــه أولاً وآخــراً، وآخــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عمر بن عبد العزيز

الفهرست

الصفحة	الموضـــــــــــوع
١	التمهيد فى أهمية دراسة الأديان
٢	عرض سريع لتاريخ علم الأديان
١٩	معنى الدين لغة واصطلاحاً
٢٦	عناصر الدين
٢٩	وحدة الدين
٣٣	الفرق بين الدين الوضعى والدين السماوى
٤٤	الفرق بين الملة والنحلة والشريعة والمنهاج
٥٢	هل هو دين أم أديان؟
٥٤	موقف الإسلام من الأديان الاخرى
٥٨	أهم عوامل الانحراف عن الدين الصحيح
٧٠	ما ضرورة الدين
٨١	الاسلام دين الفطرة والعقل
٨٣	هكذا يحدث التاريخ
٨٥	أقدمية الدين
٩١	من هو أول نبى، وأول رسول؟
٩٧	وقفة حول نشأة العقيدة الإلهية.

الرد على من قال بتطور العقيدة	١٠١
نبذة تاريخية عن بعض الرسالات السماوية (اليهودية – المسيحية)	١١٠
نظرة إجمالية لبعض الأديان الوضعية	١٢٩
الديانة المصرية القديمة	١٣٠
أديان الهند	١٣٤
أديان الصين واليابان	١٤٣
أديان اليونان والرومان	١٤٥
أديان الفرس	١٤٩
أديان البابليين والآشوريين	١٥١
الخاتمة	١٥٨